محمود محمد طه

الدين والتنمية الاجتماعية

- الطبعة الاولى -
نو الحجة ١٣٩٤ - ديسمبر ١٩٧٤

الاهـــــداء :

الى الناس !! كـــل الناس !!

والى العلماء منهم بشكل خاص ..

ان الزمان قد استدار ، استدارة كاملة ، فعاد كهيئته ، يوم خلق الله الانسان ، دودة بين الماء والطين !!

يومئذ قام تحدى البيئة الطبيعية له بصورة حاسمة !!

التحدى ؟؟ اما أن يحدث تواؤماً بينها وبينه ، أو ينقرض !!

والآن !! فانه ، بتمام هذه الاستدارة الزمانية ، يعود هذا التحدى بكل حسميته ، بيد أن عنصراً جديداً قد دخـــل الميدان ، ذلك انا اليوم نعرف حقيقـــة هذه البيئـة التى تواجهنا بكل هذا التحدى الرهيب ، بعد أن كنا نجهلها أمس، كـــل الجهـــل !!

ان بيئتنا الطبيعية ليست بيئة مادية ، كما نتوهمهـا ، الى اليـــوم !!

انها ، فى الحقيقة ، بيئة روحية ، ذات مظهر مادى !! انهـا ارادة الله تجســـدت !!

والتحدى الذى تواجهنا به هذه البيئة اليوم انما يتخـــذ صوراً عديدة !!

منها ، فيما نحن بصدده من الحديث عن التنمية الاجتماعية، الانفجار السكانى ، الذى يتهدد أهـــل الارض بالانقراض جوعاً ، اذا لم تتم المواءمة ، بين هذه الحياة الحديثة ، وبـين هذه البيئة القديمة ، الحديثة !!

ولا تتم المواءمة بتحديد النسل ، كما يظن بعض العلماء !!
لا !! ولا هى تتم بهذا ، وبالاعتماد عـــلى العلم المـادى ، التجريبى ، وحده ، فى زيادة انتاج الغذاءات !!
وانما هى تتم بالاعتماد على العلم المادى ، وبالاعتمـــاد على العلم بالله الذى به سنملك القدرة على تجـــاوز العلم المـادى !!

وبتجاوز العلم المادى هذا نصل الى « **العلم** » ، ذلك العلم الذى ، بالحياة بمقتضاه يتم التواؤم بين حيـــاة الانســان الحديث ، وبين بيئته هذه القديمة ، الحديثة !!
يومئذ ، ويومئذ فقط ، يحيا الأحياء ، وكل نفس فى سلام مع نفسها ، ومع بقية الأحياء ، والأشياء !!

بســـم اللـــــه الرحمن الرحيـم

« ولو أن أهل القرى آمنوا ، واتقوا ، لفتحنا عليهم بركات من السماء ، والأرض ، ولكن كذبوا ، فأخذناهم بمـا كـانوا يكسبون ٠٠ »

صدق الله العظيم

المقدمـــــة :

هذه مقدمة كتاب : « الدين ، والتنمية الاجتمـــاعية » ٠٠ وهذا الكتاب انما هو عبارة عن محاضرة ألقيت على طلبـــة « الجامعة الاسلامية » وعلى ضيـــوفهم ، وذلك بمبانى هذه الجامعة فى مساء يوم الاحد ٢٠ من شهر الله المبارك رمضـان عام ١٣٩٤ ، يوافق السادس من شهر أكتوبر عام ١٩٧٤ ٠٠ وكانت المحاضرة بدعوة كريمة وجهتها « جمعيـة التنميـة الاجتماعية » بهذه الجامعة ٠٠ لقد كان عنوان المحاضرة الذى اقترحته هذه الجمعية هو : « الدين ، والتنمية الاجتماعية» ٠٠ ومن ههنا جاء اسم هذا الكتاب ٠٠ ولقد كانت هذه المحاضـرة مسجلة على شـريط ، وأخذت من الشريط عـــلى الورق ، ولذلك فانها تجرى بلغة الكلام ، بدلا من لغة الكتابة ٠٠ ولقد أخرجنا ، قبل هذا ، عدة كتب بلغة الكـــلام ، فحمد قراؤنا سائرها ، وزعموها قد شرحت دقـائق « الدعـــوة الاسلامية الجديدة » بصورة أبسط ، وأقرب مما فعلت كتب اللغـــة الفصيحة ، وبخاصة بالنسبة لسواد الشعب ٠٠ ونحن ، مـــن أجل ذلك ، حرصنا على موالاة اصدار هذا الصنف من الكتب ، حيث أصبح ذلك ميسورا ٠٠ ومهما يكن من الأمر فان مهمـة اللغة ـ أيا كان نوعها ـ انما هى نقل الافكار الى الآخـرين ،

فاذا وقع المقصود بلغة الكلام ، بأوفى مما يقع بلغة الكتابة ، فقد وجب أن نكون الى تلك أميل منا الى هذه ، وبخاصة فى هذا الباب ، الذى نبتغى فيه بسط فكرة للشعب هى قمينة بأن تحدث فيه ثورة دينية ·· وليس فى اتخاذنا اللغة العامية ، فى بعض الاحايين ، وسيلة من وسائل التعبير عن « الدعوة الاسلامية الجديدة » تشجيع للغة العامية ، فوق اللغة الفصيحة ، وانما فيه محاولة لمخاطبة الشعب فى مستواه ، وذلك ابتغاء تثقيفه ، وتنويره ، حتى يكون فى مستوى فهم أى لغة يخاطب بها ··

ولما كانت لغة السودان العامية غير مفهومة تماماً فى البلاد الاسلامية ، والعربية الاخرى ، فقد رأينا أن نقدم لهذا الكتاب باللغة الفصيحة رجاء تعميم الفائدة ··

نشأة الدين والعلم والمجتمع : ـ

وجد الانسان الأول نفسه ، فى البيئة الطبيعية ، أمام قوى رهيبة ، يأتيه من قبل بعضها النفع ، ويأتيه من قبل بعضها الآخر الضرر ، فاهتدى الى المناجزة والتمليق ، فى آن معاً ·· أما المناجزة فقد هدته الى اتخاذه الآلة البدائية ، والى افتنانه شتى الأفانين التى بها ييسر حياته ، ويؤمنها ، فكانت تلك نشأة العلم التجريبى الذى تطور الآن الى ارتياد الانسان الفضاء بمركبات الفضاء ·· واما تمليقه فقد تمثل فى تقربه ، وفى تزلفه ، الى تلك القوى التى فاقت قدرته ، وأعجزت حيلته ·· وكان دافع التمليق الخوف منها حيناً ، والطمع فيها حيناً آخر ، فكانت تلك نشأة الدين ·· فالدين ، والعلم التجريبى ، نشآ معاً ، وفى وقت واحد ·· وهما انما نشآ كوسيلتين متكاملتين ·· ونشآ نتيجة لمحاولة الانسان أن يتلاءم مع بيئته ·· فكلاهما ـ العلم التجريبى ، والدين ـ

انما نشأ بدافع الخوف والطمع اللذين استوليا على الانسان الأول ، وبخاصة الخوف ·· ذلك بأن الانسان قد وجد نفسه فى بيئته الطبيعية ، محتوشا بالعداوات من جهاته الست ، فكان ، من ثم ، كلتا الوسيلتين ـ العلم التجريبى والدين ـ وسيلة الانسان الى تيسير حياته ، وتأمينها ··

ولقد نشأ الدين مع نشأة أول فرد بشرى ، وكذلك نشأ العلم التجريبى ·· وأما المجتمع فانه قد نشأ بعيد ذلك ـ نشأ مع نشأة شريعة الدين ـ وتلك نشأة قد كانت مبكرة ، ذلك بأن الانسان الأول ، بحكم ما ورثه من طور حيوانيته ، قد كان نزاعاً الى العيش فى القطيع ·· وهو ، الى ذلك ، قد كان يحتاج هذا العيش فى الجماعة لما توفره له الجماعة من أسباب الأمن فى وجه جوائح البيئة ، ومن أسباب التعاون على منادح كسب الرزق ، ومضانكه ·· فحاجته الى العيش فى المجتمع قد كانت من قبيل حاجته الى تيسير حياته ، وتأمينها ·· وتلك هى الحاجة التى كانت ، كما سبق أن قررنا ، وراء نشأة الدين ، ونشأة العلم ·· ولقد اضطر الانسان ، من أجل العيش فى المجتمع ، الى التنازل عن قدر كبير من حريته ·· وهو ، بالطبع الذى ورثه من طور حيوانيته ، قد كان شديد الشغف بتحصيل شهوتى البطن والفرج ، ولذلك فما كان للمجتمع أن ينشأ الا على تقييد هاتين الشهوتين ·· وكذلك قام العرف الأول على تنظيم الغريزة الجنسية ، وعلى تنظيم حب التملك ·· ولقد كان هذا العرف هو جرثومة القوانين ، وبداية شريعة الحرام ، والحلال ·· ولقد كان هذا العرف الأول عنيفاً بالفرد ، أشد العنف ، وذلك لمكان حاجة الفرد ، فى ذلك الطور من أطوار النشأة ، الى الترويض ، والتهذيب ·· ولقد أعان ذلك العرف البدائى الانسان الأول كل العون ، على تقوية ارادته ،

وسيطرته على نفسه ، كما خدم المجتمع ، فى ذات الوقت ، أجل خدمة ، بحفظ كيانه ، وبصيانة حقوقه ، مما جعل استمراره ، لمصلحة الفرد ، ولمصلحة الجماعة ، ممكناً ..

فالعلاقة بين الفرد والمجتمع قد قامت ، من الوهلة الأولى ، على التوفيق بين حاجة الفرد الى الحرية ، وحاجة المجتمع الى العدالة .. وهو توفيق موزون ، ومتمش مع ما يطيق الفرد ، وما يطيق المجتمع ، ومع ما يحتاجانه ، فى ذلك الطور البدائى من أطوار نشأة الفرد ، ونشأة الجماعة .. ولقد كان للدين ، ثم للمجتمع ، كل الفضل فى نشوء الوازع الداخلى (الضمير) فى الانسان ، اذ صار له اعتبار لغضب المجتمع ، ورضائه ، ولغضب الآلهة ، ورضائها .. ودخلت ، من ثم ، القيمة المعنوية فى اعتباره .. فهو قد يؤجل اللذة العاجلة طمعاً فى اللذة الآجلة ، وهو قد يستعصم عن اللذة الحسية طمعاً فى اللذة المعنوية .. فمد كل أولئك فى سعة تخيله ، وأعانه على تنمية عقله بزيادة سيطرته على نوازعه الشهوانية ..

وهذا العرف الأول الذى نظم الغريزة الجنسية ، وفرض احترام الملكية الفردية ، والذى قام عليه المجتمع ، أول ماقام ، قد كان شريعة اسلامية ، كما كانت عقيدة التعدد عقيدة اسلامية ، وكلاهما قد كان مراداً ، ومرضياً ، من الله .. فالاسلام هو الدين ، منذ بدء الدين ، ولكنه اتخذ صورا مختلفة ، فى الازمنة المختلفة ، حسب حكم الوقت .. ذلك بأن الله يبدى ذاته لخلقه على قدر طاقتهم .. وانما كان العرف الأول اسلامياً لانه حقق غرض الاسلام بتحقيق حرية الانسان وكرامته .. ولقد ورد الحديث فى متن المحاضرة عن دين الاسلام العام ، ودين الاسلام الخاص ، وجاء تعريف الدين بأنه الجزاء ، كما ورد الحديث عن مستوى الجزاء فى الاسلام

العام ، ومستوى الجزاء فى الاسلام الخاص ، وعن العرف الأول الذى قام عليه المجتمع ، أول ماقام ، وهـــو تقييد غـريزة الجنس ، وتنظيمها ، وتقييد حب الملكية ، وتنظيمها ٠٠ وجاءت الاشارة ، فى متن المحاضرة ، الى علاقة هذا العرف بشريعـــة الحدود الراهنة فى الاســـلام ، وهى : الزنا ، والقـــذف ، والسرقة ، وقطع الطريق ، مما يغنى عن الاعادة ها هنا ٠٠

وخلاصة الأمر ، فى هذا الباب ، ان نشأة الدين ، ونشـــأة العلم ، ونشأة المجتمع ، انما كانت بدافع من حاجة الانســان الى تأمين حياته . وتيسيرها ، مما يضع الانسان ـ من حيث هو انسان ـ موضع الغاية من كل سعى ٠٠ فكل شىء فى الوجـود انما هو وسيلة الانسان ، كما قال تعالى . فى ســورة لقمـان : « ألم تروا أن الله سخر لكم ما فى السموات ، وما فى الأرض ، وأسبغ عليكم نعمه ، ظاهرة وباطنة ٠٠ ومن الناس من يجادل فى الله بغير علم ، ولا هدى ، ولا كتاب منير » هكذا !! كـــل ما فى الوجود انما هو وسيلة الانسان ٠٠

ماهى التنمية الاجتماعيـــة ؟؟

التنمية هى الزيادة ، كماً ، وكيفاً ٠٠ ولما كان الانسان هـو هدف كل مسعى الى تطوير الحياة ، فان التنمية الاجتماعيـة انما تعنى زيادة المورد البشرى ، وتحسين نوعه ـ تنميـــة الانسان ـ وتنمية الانسان انما تكـــون بتنمية موهبتيـه الأساسيتين ـ العقل والقلب ٠٠ فهى اذن تعنى تنمية حيـاة فكره ، وحياة شعوره ٠٠ وما يعوق هذه التنمية هـو الجهل ، والخوف ٠٠ ولا تنمو حياة الفكر ، وحياة الشعور ، والعقـــل ملتو بالجهالات ، والقلب منقسم بالمخاوف ٠٠ وانمـــا قدماً انقسمت البنية البشرية بفعل الخوف الى عقل واع ، وعقـــل باطن ٠٠ وما العقل الباطن الا سجن الرغائب التى كبتهـــا

الانسان ليأمن غوائل البيئة الطبيعية ·· وانما كان الكبت بدواعى الخوف من العقوبات المترتبة على مخالفة عرف المجتمع ، والخوف من غضب الآلهة ·· وهذا الانقسام ، فى حد ذاته ، قد كان مرحلة ارتقاء نحو الهدف المنشود ، ولكنه يصبح ، فى أخريات السير ، عقبة معوقة عن اطراد هذا الارتقاء ·· ولا يكون التمام الا بالتخلص منه ·· وليس الى الخلاص من سبيل الا بتحرير الانسان من الخوف العنصرى ، لأن الانسان ، بهذا التحرير ، يخلص الى توحيد بنيته ، ومن ثم الى توسيع حياة فكره ، وحياة شعوره ··

البيئة مظهرها مادى وحقيقتها روحية : ـ

وليس الى التحرير من الخوف من سبيل الا سبيل العلم بحقيقة البيئة الطبيعية التى ، عن الجهل بها ، نشأ الخوف فى صدور الرجال والنساء ، أول الأمر ·· وانما من أجل تحرير الرجال والنساء من هذا الخوف جاء الاسلام بقرآنه ، وبمنهاج عبادته ، ومنهاج عادته ··

فالاسلام ، فى المستوى الفردى ، يتجه الى تحقيق الحرية الفردية المطلقة لسائر أفراد الرجال ، والنساء ·· وهو ، فى المستوى الجماعى ، يتجه الى تحقيق العدالة الشاملة فى المجتمع ·· فهو اذن يعنى بتنمية الفرد ، وتنمية المجتمع ، وهو انما يعنى بالمجتمع فى مكان الوسيلة ، ويعنى بالفرد فى مكان الغاية ·· فلتنمية الفرد ، بتحقيق حريته الفردية المطلقة ، لابد من تنمية المجتمع لتحقيق العدالة الاجتماعية الشاملة ··

فالحرية الفردية المطلقة للفرد ، من رجل أو امرأة ، انما تعنى تصحيح عبوديته لله بانعتاقه من الرق من جميع العناصر ، وهذا انما يعنى ، فى المكان الأول ، تحرره من الخوف الموروث ،

ومن الخوف المكتسب ·· وهذا التحرر من الخوف انما يتـــم باستيقان العلم بأن هذا الوجـود انما يسيره قانون محكـم ، محيط ، هو الذى أبرز الحياة من الكمون ، وحفزها ، وسيرها فى مراقى التطور ·· هذا القانون هو الارادة الالهية ، بل انه، على التحقيق ، ان البيئة الطبيعية انما هى علم الله تجسـد ، فكان المظهر الالهى من سموات ، وما فيها ، ومن أرضين ومـا فيها ·· وقد سمى الله هذه المظاهر آيات ، كما سمى المعـانى الكامنـة فى النفس البشرية آيات ، قال تعـالى فى ذلك : « سنريهم آياتنا فى الآفاق ، وفى أنفسهم ، حتى يتبين لهم انه الحق ·· أو لم يكف بربك انه على كل شىء شـهيد ؟؟ » ·· فالجميع آيات الله ، لا اختلاف بينها ،الا اختلاف المقدار ·· فآيات الآفاق ظاهرة ، وآيات النفوس باطنة ، والجميع مظهـر الله الذى ظهر به لعباده ليعرفوه ـ الجميع منهاج الله لتعليـم عباده ·· قال تعالى ، فى ذلك : « سنة الله التى قـد خلـت فى عباده ، وخسر هنالك الكافرون» ·· وفى قوله تعالى:«أولم يكف بربك انه على كل شىء شهيد ؟؟ » اشارة الى ظهوره فى كل شىء، وبكل شىء· فالبيئة الطبيعية التى نتحدث عنها انما هى مظهره ·· هى هو ·· فما ثمة غير الله ، وما ثمة الا الله ·· فانتهى التعدد الى الوحدة ·· هذا أمر فى الدين واضـح ·· فهل هو واضح فى العلم التجريبى أيضا ؟؟ ذلك أمر لا ريـب فيه ، ذلك بأن تجاريب العلم المادى ، حـين وصلت الى فلق الذرة ، والى تفتيتها ، قد أعلنت ، بأعلى صوت : ان المـادة ، بالصورة التى تراها الاعين ، وتحسها الحواس ، ليست هناك ، انها ان هى الا مظهر لطاقة هائلة ، تدفع وتجذب فى الفضاء ، يعرف العلم خصائصها ، ويجهل كنهها ·· هذه القوة الهائلة ـ هذه الطاقة ، هى ارادة الله ·· هى الله ·· فانتهى الأمـر

بالعلم ، والدين ، الى اللقاء، بعد طول فرقة ، وطول افتراق ·· وانما يكون التقاء العلم والدين بعد تمام الدورة التقاء أكمل مما كان عليه أمرهما فى بداية الدورة ·· كذلك يقول أصحابنا : « النهاية تشبه البداية ، ولا تشبهها » ·· وهم انما قالوا ذلك أخذاً من قوله تعالى : « يوم نطوى السماء كطى السجل للكتب ، كما بدأنا أول خلق نعيده ، وعداً علينا ، انا كنا فاعلين ··» سيكون التقاؤهما الثانى على اكتمال من العلم ، واكتمال من الدين ·· وسيتم زواجهما ·· سيتم زواج حقيقتهما ، وزواج شريعتهما ·· وسيمثل العلم دور الزوجة ··· ويمثل الدين دور الزوج ·· ويمكن التعبير ، عن هذا الوضع ، بصورة أخرى ، هى : ان العلم يمثل البناء التحتى ، فى حين ان الدين يمثل البناء الفوقى ، وبين البناء التحتى والبناء الفوقى ارتباط تكامل ، ووحدة ، اذ هما ، كلاهما ، يكونان «**العلم**» ، وهذا يسوقنا الى أن نلاحظ ملاحظة عابرة هى : ان النظرة العلمية للاشياء لاتقوم على منهاج العلم المادى التجريبى وحده ، كما يدعى كثير من العلماء المعاصرين ·· لا !! ولا هى تقوم على المنهاج الدينى وحده ، وانما هى تقوم على هذا الاقتران بين المادة ، وما وراء المادة ··

هذا « العلم » هو العلم بالله ، وهو يقوم على كل حرف ، وكل كلمة من كلمات الآية الكريمة : « سنريهم آياتنا ، فى الآفاق ، وفى أنفسهم ، حتى يتبين لهم انه الحق ·· أو لم يكف بربك انه على كل شىء شهيد ؟» ·· قوله تعالى : « سنريهم آياتنا فى الآفاق » اشارة الى المادة ·· قوله تعالى : « وفى أنفسهم » اشارة الى ماوراء المادة (الروح) ·· قوله تعالى : « أو لم يكف بربك انه على كل شىء شهيد؟؟» اشارة الى الزواج

بين المادة والروح ، وهذا هو «**العلم**» ..

فليوجد الانسان التواؤم بينه وبين بيئته لابد له من تحصيل هذا العلم ، ومن الحياة بمقتضى هذا العلم .. وما الحياة بمقتضى هذا العلم بشيء غير العبودية لله ، تلك التى قلنا عنها انها هى الحرية الفردية المطلقة ، وقلنا : انها تبدأ بانعتاق الحر من استرقاق سائر العناصر اياه ..

العلم يقول : ان البيئة التى نعيش فيها هى بيئة مظهرها مادى ، ومخبرها روحى .. وانما من أجل انشاء العلاقة بينها وبين الانسان ـ من أجل تواؤم الانسان معها ـ فرض الاسلام ، وفرض القرآن ، وجاء المنهاج التعبدى ، وأدب المنهاج التعبدى .. هذه البيئة ، كما قررنا سابقا ، هى ارادة الله تجسدت ، وجاء المنهاج ، وأدب المنهاج ، ليسير الانسان تسييراً تصاقب فيه ارادته ارادة الله ـ جاء المنهاج ليمكننا من الرضا بالله .. قال تعالى : « فأصبر على ما يقولون ، وسبح بحمد ربك ، قبل طلوع الشمس ، وقبل غروبها ، ومن آناء الليل فسبح ، وأطراف النهار ، لعلك ترضى .. » والرضا هنا هو العبودية .. وهى تعنى ، فيما نحن بصدده ، المواءمة بين الحى وبيئته .. والعبودية عبوديتان : عبودية « اكراه » وهى للحى غير العاقل .. وعبودية « طوع » وهى لعقلاء الناس .. قال تعالى فيها : « ومن أحسن ديناً ممن أسلم وجهه لله وهو محسن ، واتبع ملة ابراهيم حنيفا ؟؟ واتخذ الله أبراهيم خليلا .. » .. وسر الآية فى قوله تعالى : « وهو محسن » فانه اشارة الى العقل .. وأشار فى الآية الى العبودية بقوله تعالى : « أسلم وجهه » ، وهى تعنى استسلم ، وانقاد ، ورضى .. وهذه المواءمة بين الحى وبيئته ظاهرة فى الآية ..

سبب الرزق « العلم » :

اذا اكتمل علم الانسان بالله فى مستوى الرضا به ، أو قل ، ان شئت ، اذا اكتملت مقدرة الحى على المواءمة بين حياته وبيئته فى هذا المستوى الذى ذكرنا ، اذا اكتمل له ذلك بفضل الله ، ثم بفضل تجويد ممارسته لمنهاج العبادة ، فانه يرزق بفضل هذا «**العلم**» ، لابفضل التدبير ، والتخطيط ، والتنمية على وفق ما فى علوم الاقتصاد الحديث ·· ولكن هذه مرتبة لم تحقق بعد ، وان كان تحقيقها أمراً لاريب فيه ·· يقول تعالى ، فى هذا المعنى : « وما خلقت الجن ، والانس ، الا ليعبدون * ما أريد منهم من رزق ، وما أريد أن يطعمون * ان الله هو الرزاق ، ذو القوة ، المتين » ·· قوله تعالى : « وما خلقت الجن والانس الا ليعبدون » ، معناه الا ليعرفونى ليسعدوا بمعرفتى ، والا فانى غنى عن عبادة العابدين ·· وهذه المعرفة هى : «**العلم**» الذى تحدثنا عنه ·· وفى قوله تعالى : « ما أريد منهم من رزق ، وما أريد أن يطعمون » ، المعنى الذى أردنا فى أمر الرزق ·· فانه تعالى أراد من قوله تعالى : « ما أريد منهم من رزق » لأنفسهم ، ولا لغيرهم ·· ونفس المعنى يطالعنا من قوله تعالى : « وما أريد أن يطعمون » يعنى لا يطعمون أنفسهم ، ولا غيرهم ، فان الله هو مطعم الجميع ·· وأوضح ، فى هذا الباب ، وأشد دلالة على ان هذا «**العلم**» هو سبب الرزق ، قوله تعالى : « وآمر أهلك بالصلاة ، واصطبر عليها ، لانسألك رزقاً ، نحن نرزقك ، والعاقبة للتقوى » قوله تعالى : « والعاقبة للتقوى » يعنى : سبب الرزق « التقوى » ·· والتقوى ههنا تعنى ، فى قمة ماتعنى ، الحضرة مع الله ، بلا غفلة عنه ·· وأكبر وسيلتها « الصلاة الذكية » ··

ان «**العلم**» بهذا المستوى الذى نتحدث عنه هو موروث البشرية، ومستقبلها ، من غير أدنى ريب ·· وانه هو مفروض عليها ، ولاتجد عنه منصرفاً ·· قال تعالى فى ذلك : « يا أيها الانسان !! انك كادح الى ربك كدحاً فملاقيه » ، أردت هذا اللقاء أم لم ترده ·· ولا تكون الملاقاة فى المكان ، وانما تكون «**بالعلم**» ·· وهذا «**العلم**» هو منقذ البشرية الوحيد مما تخشاه ، وما تتوقعه ، من الموت جوعاً ، من جراء ما سمى بالانفجار السكانى ، فانه ، لدى هذا العلم ، « الرغيف » ، عند الله ، كضوء الشمس ، لا عد له ، ولا حصر ·· قال تعالى ، فى ذلك: «والارض مددناها،وألقينا فيها رواسى،وأنبتنا فيها من كل شىء موزون * وجعلنا لكم فيها معايش ، ومن لستم له برازقين * وان من شىء الا عندنا خزائنه ·· وماتنزله الا بقدر معلوم* وأرسلنا الرياح لواقح فأنزلنا، من السماء، ماء، فأسقينا كموه ، وما أنتم له بخازنين » ·· أشار بقوله تعالى : « وان من شىء الا عندنا خزائنه » الى الرزق ـ الى كل مايحتاجه الانسان من حاجات معدته وحاجات قلبه ·· وأشار بقوله تعالى : « فأنزلنا من السماء ماء » الى كثرة الرزق ، فان الرغيف عنده كالماء فيضاً ، وكنور الشمس ، لاحصر له ·· وأما الاشارة بقوله تعالى : « وما أنتم له بخازنين » فانها فى غاية الوضوح ، وفى غاية اللطف ·· وستقول : ولكن المشاهد أن الرغيف قليل الى حد الضيق . وانه لاينال ، فى كثير من الأوقات ، الا بشق الانفس ، وانه قد لاينال ، حتى بشق الانفس ، فيقع الموت جوعاً ·· وهو ، على كل حال ، لاينال ، فى سائر الاوقات ، عند سواد الناس الا بالجهد ، والعرق ·· فما هو السر فى هذا ؟؟ السر يكمن فى حكمة التعليم ·· يقول تعالى : « وهو الذى يقبل التوبة عن عباده ، ويعفو عن

السيئات ، ويعلم ما تفعلون * ويستجيب الذين آمنوا ، وعملوا الصالحات ، ويزيدهم من فضـــــله ·· والكافرون لهم عذاب شديد * ولو بسط الله الرزق لعباده لبغوا فى الأرض ، ولكن ينزل بقدر مايشاء ·· انه بعباده خبير بصير * وهو الذى ينزل الغيث ، من بعد ما قنطوا ، وينشر رحمتـــــه ، وهو الـولى الحميد ··» ·· قوله تعالى : « ولو بسط الله الرزق لعبـاده لبغوا فى الأرض » ، هذا هو سر التقتير ·· فالله يزن الرزق لعباده كما يزن الطبيب الحاذق جرعة الدواء لمريضه ، وتعالى الله عن هذا التشبيه ·· ثم قال : « ولكن ينزل بقدر ما يشاء»، والاشارة الى الحكمة واردة فى الفاصلة : « انه بعباده خبـير بصير » ·· وفى موضع آخر ، يقول عن غفلة الانسان ، حـين يجد سعة الرزق : « كلا !! ان الانســـان ليـــطغى * ان رآه استغنى» ·· يرد هذا القول الكريم فى سياق عن التعليم بأول سورة من القرآن : « اقرأ باسم ربك الذى خلق * خلق الانسان من علق * اقرأ وربك الاكرم * الذى علم بالقلم ★ علـــم الانسان مالم يعلم * كلا !! ان الانســـان ليـــطغى * ان رآه استغنى * ان الى ربك الرجـعى » ·· قوله تعـــالى : « ان الى ربك الرجعى » تقرير للمصير ·· وانما قدر عليه رزقه لئـلا يستولى عليه الجهل فى حالة بسطة الرزق فيخرجه عن طوره ، ويرميه فى أحضان الغفلة ، فيجهل قدر نفسه ·· والى ذلـك الاشارة بقوله تعالى : « كلا !! ان الانســـان ليطغى * ان رآه استغنى » ·· والرزق ، بين البسط والتقتير ، هو أكبر الأقلام التى بها يعلمنا الله ·· ولو انا فقهنا عنه ، وعلمنا «**العلم**» لرزقنا بغير حدود ، ولا حساب ·· ذلك لأن ذلك هو الاصـــل ـ الوفرة هى الاصل ـ وما القلة ، وما التقتير ، الا لحكمـــة التعليم ·· يقول تعالى فى ذلك : « مايفعل الله بعذابكـم ان

شكرتم ، وآمنتم ؟؟ وكان الله شاكراً عليماً ٠٠ » ٠٠ فالمطلوب منا انما هو الشكر والعلم ٠٠ فما فرضت علينا التكاليف ، وما حرم علينا حرام ، أبداً ، الا من أجل ذلك ٠٠ فاذا ما علمنا ، وشكرنا ، رزقنا بغير حساب : « فتقبلها ربها بقبول حسن ، وأنبتها نباتاً حسناً ، وكفلها زكريا ٠٠ كلما دخل عليها زكريا المحراب وجد عندها رزقاً ، قال : يامريم !! أنى لك هذا ؟؟ قالت : هو من عند الله ، ان الله يرزق من يشاء بغير حساب !! » ٠٠ هذا هو سبب الرزق ، وهذا هو وسيلة الرزق ـ «**العلم**» ٠٠ العلم بالله والحياة بمقتضى هذا العلم ٠٠

لقد صدرت هذه المقدمة بآية هى آية فى الدلالة على ماذهبت اليه آنفاً ، وهى قوله تعالى : « ولو أن آهل القرى آمنوا ، واتقوا ، لفتحنا عليهم بركات من السماء ، والارض ٠٠ولكن كذبوا ، فأخذناهم بما كانوا يكسبون ٠٠» ٠٠ وهناك ، فى موضع آخر ، يقول تعالى ، عن أهل الكتاب : « ولو أن آهل الكتاب آمنوا ، واتقوا ، لكفرنا عنهم سيئاتهم ، ولأدخلناهم جنات النعيم * ولو أنهم أقاموا التوراة ، والانجيل ، وما أنزل اليهم من ربهم ، لأكلوا من فوقهم ، ومن تحت أرجلهم ٠٠ منهم أمة مقتصدة ، وكثير منهم ساء مايعملون ٠٠» ٠٠ هذا أمر شديد الدلالة على سبب الرزق الحقيقى ، ولكن الناس ، من فرط خوفهم على الرزق ، ومن شدة حرصهم على تحصيله ، وعلى تأمينه ، بآيات الله لايوقنون ٠٠ ولقد قال أحد العارفين : (لعن الله أقواماً أقسم الله لهم ثم لم يصدقوه !! قالوا : وكيف ؟؟ قال : قال الله ، تبارك وتعالى ، للناس : «وفى السماء رزقكم وما توعدون * فورب السماء ، والارض ، انه لحق مثل ما أنكم تنطقون » ، فانه تعالى ههنا آقسم ، ثم ان

الناس لم يصدقوه) ·· وهذا حق !! فان التصديق ههنا يحتاج الى علم يقين ، هو لابد آت ، ولكن الوقت ، بطبيعة الحال ، طرف فيه ، وهو لم يجىء بعد ، ذلك بأن « حكم الوقت » فيما مضى من تاريخ البشرية ، لم ينضح ليقضى بمثل هذا اليقين، وانه لآت ، لاريب فيه ، وبمثل هذا اليقين يجىء «**العلم**» الذى قررنا آنفاً انه سبب الرزق ··

العلم علمان

هل هذا الحديث الغامض علمى ، أم انه عقيدى يقوم على الايمان؟؟ الجواب : انه علمى، من غير أدنى ريب، ولكنه ليس العلم المادى التجريبى الذى ألفه الناس ، ودرجوا على تسميته علماً وما هو بذاك الا فى معنى انه علم ظواهر الأشياء ، دون بواطنها ـ علم القشور دون اللباب ـ ولقد سماه الله ، تبارك وتعالى ، علماً بهذا المعنى ، ونفى عنه العلمية الحقيقية التى تنفذ الى البواطن ، والتى يعيش الناس اليوم على جهل بها عظيم ·· ولكنهم لابد لهم منها ، ولن يجدوا عنها منصرفاً ، وان جهدوا ·· قال تعالى ، فى زيف هذا العلم : « وعد الله !! لايخلف الله وعده ، ولكن أكثر الناس لايعلمون * يعلمون ظاهراً من الحياة الدنيا ، وهم ، عن الآخرة ، هم غافلون » ·· تأمل قوله تعالى : « ولكن أكثر الناس لايعلمون ، يعلمون ظاهراً من الحياة الدنيا » تجده يثبت لهم العلم وينفى عنهم «**العلم**» ·· هذا العلم الذى أثبته لهم هو علم الظاهر ـ هو ، كما يمكن أن تقول ، العلم المادى ، التجريبى ، الذى يوصل الى خصائص المادة ، ولا يوصل الى كنهها ·· والعلم الذى نفاه عنهم هو علم كنه المادة ، كما هو علم خصائص المادة فى آن معاً ، وهذا هو العلم الذى به يقع تخطى ظواهر الاشياء الى بواطنها ـ هذا هو «**العلم**» الذى تحدثنا عنه هنا كثيراً ، وقلنا

عنه : انه هو سبب الرزق ·· وقلنا عنه أيضا انه هو علـــم آيات النفوس ، فى حين أن علم الظاهر هو علم آيات الآفاق : « سنريهم آياتنا فى الآفاق ، وفى أنفسهم ، حتى يتبين لهم انه الحق ·· أو لم يكف بربك انه على كـــل شىء شهيد ؟؟ » ··

هذا «العلم» هو الدين ، ولا يوصل اليه الا منهاج الاسلام ، وقرآن الاسلام ·· وانه لهو مادة « الدعوة الاسلامية الجديدة » وموضوعها ··

يتحدث علماء العالم ، ومسئولوه ، وحكامه ، وفى هذه الايام بالذات ، عما يتهدد البشرية من الجوع بسبب ما سمى بالانفجار السكانى ·· ولقد سمت هيئة الامم المتحدة عام ١٩٧٤ بعـام سكان العالم ، ودعت ، بكل الوســائل التى تحت يدها ، الى التفكير فى مصير البشرية على هـــذا الكـوكب ، وأوردت احصائية تقول : ان عدد سكان العالم فى هذا العام قد بلـــغ ٤٠٠٠ مليون نفس ، وان هذا العدد سيتضاعف فى مدى خمس وثلاثين سنة ·· وهم يرون ان هذه الزيادة المذهلة ، ان لـــم توقف عند حد معين ، وذلك بتحديد النسل فى كل أنحـــاء العالم ، وبخاصة فى البلاد المتخلفة حضارياً ، فان مصير الناس المحقق هو الموت بالجوع مهما اجتهـــدوا فى زيادة انتـــاج الغذاءات ·· والذى أراه هو أن البشرية اليوم مواجهة بتحد يدفعهـــا دفعـــاً لا تملك عليـــه ابـــاء ولا امتناعـــاً ـ يدفعهـــا الى أحضـــان اللـــــه بصـــورة لم يسبق لها مثيل ·· ولست أرتاب ، ولا للحظة واحدة ، ان البشرية ستلجأ الى الدين ، طوعاً أو كرهاً ·· ومما لاشك فيه عندى أن كل محاولات المفكرين لتجنب المصير الذى يرونـــه مظلماً انما هى مظهر آية تطلب تحقيقها ، تلك الآية هى قوله تعالى : « يا أيها الانسان انك كادح الى ربك كدحاً فملاقيه » ··

ولا تكون ملاقاة الله بقطع المسافات وانما هى «**بالعلم**» ..
هذا هو عصر «**العلم**» ، ولكنه عصر ضائع حين ظن آن العلم المادى التجريبى هو «**العلم**» .. نحن دعاة هذا «**العلم**» فيما أسميناه « الدعوة الاسلامية الجديدة » .. ولابد للناس أن يفيئوا الى ظلالها .. فانهم ، الا يفعلوا طواعية ، فعلوا اضطرارا .. فانه ثابت أنه : « من لم يسر الى الله بسوابغ الاحسان قيد اليه بسلاسل الامتحان » .. هذا وانما تقوم الدعوة الى الاسلام اليوم على مستواه العلمى ، لا العقيدى ، وهذا هو مقتضى حكم الوقت .. ويجب أن يكون واضحا لدينا ، ونحن نتحدث الآن عن : « الدين والتنمية الاجتماعية » ، أن الدين بمستواه العقيدى ـ الرسالة الأولى ـ يعوق التنمية الاجتماعية ، ولا يعينها ، ذلك بأنه ـ فى هذا المستوى ـ لايسوى بين الرجال والنساء ، ولا تقوم ، من ثم ، شريعته على الديمقراطية ، ولا على الاشتراكية ، وانما تقوم على « الوصاية » ، وعلى « الرأسمالية الملطفة » .. الزكاة ذات المقادير ..

ان أمل الانسانية المعاصرة معقود بالاسلام ، ولا ريب ، ولكن فى مستواه العلمى ، لا العقيدى .. وهذا هو مستوى « الرسالة الثانية من الاسلام » الذى ظللنا ننادى به على طول المدى ..

التنمية الاقتصادية :

ولكن هل نترك الاسباب ، والتدبير ، والتخطيط ، واستعمال الآلة ، والأيدى ، فى زيادة الانتاج ؟؟ هل نترك الاسباب التقليدية اتكالا على هذه الاسباب التى سبق ذكرها ، والتى قد يظنها بعض الناس أسبابا وهمية ؟؟ كلا !! ثم كلا !! وانما يجب أن ندبر ، وأن نحسن التدبير ، وأن نقدر ، وأن نحسن التقدير ، وأن نخطط بعلم وباتقان ، وأن ننفذ بقدرة

وباحسان ، وأن نستخدم ، فى كل أولئك ، كل وسائل العلم الحديث ، فى مجال علم الاقتصاد ، وفى مجال التكنولوجيا ، وفى جميع المجالات التى أخصب بها العلم الحديث حياتنا ، وأن نتطلع ، فى هذا الباب ، الى المزيد من معطيات العلم التجريبى ·· ولكن يجب أن تكون عندنا المقدرة ، العلمية ، والفكرية ، على تخطى معطيات العلم التجريبى الحديث ، من انتاجات هذا العلم ، ومن فلسفة هذا العلم ، الى ماهو وراءها من الغايات ·· بتعبير آخر : يجب أن نستعمل جميع معطيات العلم التجريبى لنجعل الدنيا خير وسيلة الى الآخرة ·· ألم يقل المعصوم : « الدنيا مطية الآخرة » ؟؟ ونحن ، على التحقيق ، لانستطيع أن نتخطى المادة الى ماوراء المادة الا اذا علمنا هذا «**العلم**» الذى هو ، فى حقيقة الامر ، سبب الرزق ··وانما من أجل ذلك أسهبنا ، بعض الشىء ، فى ذكره بهذه المقدمة ··

سبق أن قررنا أن « التنمية الاقتصادية » هى العمود الفقرى « للتنمية الاجتماعية » ·· وقررنا أيضاً أن « التنمية الاقتصادية » لاتكون الا بالاشتراكية ·· ولا تتحقق الاشتراكية الا بالديمقراطية ·· فالديمقراطية والاشتراكية جناحان لطائر المجتمع ، ولا ينهض طائر بجناح واحد ··

ولقد فصلنا الحديث عن الاشتراكية العلمية ، وعن الديمقراطية ، فى العديد من كتبنا ، وبخاصة فى كتابنا : « الرسالة الثانية من الاسلام » ، مما يغنى عن الاعادة هنا ·

السودان والتنمية الاجتماعية

أول ما نبدأ به هو تقرير الحقيقة الكبرى وهى أن التنمية الاجتماعية فى السودان لن تتم الا على هدى «**العلم**» ·· ولقد أسلفنا الاشارة الى أن «**العلم**» انما هو العلم بحقيقة البيئة التى نعيش فيها ، وهى بيئة روحية ، ذات مظهر

مادى ٠٠ والعلم بها انما هو ثمرة اللقاء ، واللقاح ـ الزواج ـ بين العلم « المادى » التجريبى الذى يعنى بظواهر الاشياء والعلم «**الروحى**» التجريبى الذى يعنى بالظواهر ، وبما وراء الظواهر ـ بالمادة وبما وراء المادة ـ وان كانت عنايته بما وراء المادة أساسية ٠٠

ان طريق السودان الى « التنمية الاجتماعية » ليس طريق الحضارة الغربية ـ ليس طريق العلم التجريبى وحده ٠٠ فان هذا طريق مقفول ، لأنه أهمل القيمة ـ أهمل الاخلاق ـ ونحن السودانيين ، بفضل الله ، ثم بفضل كوننا مسلمين ، وورثة المصحف الكريم ، نستطيع أن نقدم النهج الجديد ، الذى ، بما يملك من القيمة ، يستطيع آن يجعل الانسان سيد الآلة ، وموجهها ، بدلا من خادمها ، وتابعها ، كما هى الحالة فى الحضارة الغربية اليوم ٠٠ قال المعصوم : « الدنيا مطية الآخرة » ٠٠ يعنى ان الحياة الدنيا وسيلة الى الحياة العليا ٠٠ يعنى انحياة المعدة والجسد وسيلة الىحياة الفكر والشعور ٠٠ وهذا يوجب أن ننظم حياة المعدة والجسد بكل الحذق ، والمهارة ، والعلم ، والمقدرة ، التى تجعلها وسيلة واسلة الى الغاية المبتغاة منها ، ومن ههنا يدخل « التخطيط الاجتماعى » المرشد بالعلم الحديث ، بكل معطياته ، وبكل مقدراته ٠٠ ان هذا التنظيم الرشيد لحياة المعدة والجسد يكون البناء التحتى الذى هو وحده الدعامة للبناء الفوقى ـ حياة الفكر والشعور ـ وبقدر كفاية وكفاءة البناء التحتى ينتج لنا المنهاج التربوى الاسلامى ـ العلم الروحى التجريبى ـ البناء الفوقى ذا الكفاية والاقتدار والكمال ٠٠

السـودان

السودان يقع من أفريقيا موقع القلب ٠٠ وهو بشكله يمثل شكل القلب ٠٠ وأفريقيا هى القارة التى ، كانت ولا تزال ، تسمى بالقارة المظلمة ٠٠ فهى فى مؤخرة القارات ، ولكنها أخذت اليوم تتحرك حركة دائبة ، نشطة ، بها تتحرر شعوبها كل حـين ٠٠

أفريقيا هى الموطن الأول للانسان ، فيها ظهرت حياته ، فى البدء ، وفيها ستتحقق حريته ، فى النهاية ٠٠ والسـودان من أفريقيا بحيث قد ذكرنا ٠٠

السودان يشغل رقعة شاسعة ٠٠ فهو يمتد شمالا وجنوباً ، على طول ١٢٥٠ ميلا ، ويمتد ، شرقاً وغرباً ، على مسـافة طولها ألف ميل ٠٠ وتسير الشمس فيه ساعة كاملة ٠٠ فحين يصلى سكان بورتسودان المغرب ، يمكن لسكان الجنينـة أن يصلوا العصر ، وبوقت كاف ٠٠

تمتد حدود السودان على طول ٤٥٠٠ ميل ٠٠ وهو يراقد تسعة أقطار ، ويحاددها ، ابتداء من مصر شمالا ، الى ارتريا شرقا ٠٠ ويقع من طول حدوده هذه طول ٤٥٠ ميلا مع البحر الاحمر ، من جهة الشرق ٠٠

مساحة السودان مليون ميل مربع ، أى ما يسـاوى ٦١٦ مليون فدان ٠٠ من هذه المساحة الهائلة ٢٠٠ مليون فـدان غابات ، و٦٠ مليون فدان مراع طبيعية ، و١٥٦ مليـون فدان صحارى وجبال ، و٢٠٠ مليون فدان أراض خصبة ، وميسورة الرى ، من الامطار والانهار العديدة التى تجـرى على أديم هذه المساحة الشاسعة ٠٠

سكان السودان اليوم يقدرون بما يقارب الـ ١٧ مليـون نفس ٠٠ هذا العدد القليل من السكان موزعون على هـذه

المساحة الشاسعة بغاباتها ، وبجبالها ، وبصحرائها ، توزيعاً يتفاوت فى الكثافة ، ولكنه لايكاد يخلو منه مكان ٠٠ وهؤلاء السكان القليلون ، المنبثون فى هذه الرقعة الشاسعة قد بعدت المسافات بينهم، وقلت فرص الاتصال ، مما جعل بينهم، الى اليوم ، من اختلاف العادات ، واختلاف اللهجات ، واختلاف الأديان ، ما وكد ، وقوى ، اختلاف العنصر القديم ، وبخاصة بين الشمال والجنوب ٠

يتضح من الارقام البسيطة التى سقناها فى التعريف بالوضع الطبيعى فى السودان الفرص الواعدة ، والهائلة ، التى يقدمها هذا البلد الطيب لأهله ، ولغيرهم من البشر ، كما تتضح أيضاً الصعوبات التى تعترض سبيل استغلال هذه الفرص الهائلة ٠٠ وهى ، على كل حال ، صعوبات قد تقدم تحدياً للسودانيين ، ولكنها ، على التحقيق ، لاتقدم استحالة عملية فى سبيل التنمية الاجتماعية ٠٠

التحديات التى تواجه بها طبيعة البلاد سكانها تتمثل فى ثلاث توحيدات ، بدون تحقيقها لاتقوم تنمية اجتماعية ، على الاطلاق ٠٠ هذه ثلاث التوحيدات هى : ـ

١) الوحدة الجغرافية ٠٠
٢) الوحدة السياسية ٠٠
٣) الوحدة القومية ٠٠

١) الوحدة الجغرافية :

الوحدة الجغرافية لاتعنى أننا يمكن أن نتحكم فى الطبيعة الاقليمية تحكماً تاماً ، ولكن تعنى أننا يمكن أن نروض الطبيعة ترويضا نتجنب به الضرر ، ونستجلب منه النفع ، وذلك بفضل الله ، ثم بفضل معطيات العلم الحديث ٠٠ وأول مايجب أن نبدأ به ، فى سبيل تحقيق هذه الوحدة ، هو تقريب

أطراف القطر المختلفة من بعضها البعض ، وذلك باستخدام التكنولوجيا الحديثة فى سبل المواصلات ، وطرق المواصلات ، ووسائل المواصلات ، البرية ، والجوية ، والنهرية ، والبحرية ..

٢) الوحدة السياسية :

وهذه يمكن أن تتحقق فى مستويات كثيرة .. وانما نقطة البدء فيها احلال التعايش السلمى بين عنصريات السكان المختلفة ، وقبائلهم المتباينة والمتعادية ..

هاتان الوحدتان ـ الوحدة الجغرافية ، والوحدة السياسية ـ ولأول مرة فى تاريخ الحكم الوطنى ، بدأت الخطوات الاولية فى تحقيقهما .. وتتجلى تلك الخطوات الاولية فى هذه الشبكة من الطرق البرية التى تحت التشييد اليوم ، وتلك التى تجرى المفاوضات لانشائها ، وتتجلى أيضاً فى هذه المسالك المائية التى يجرى التخطيط لتسليكها وتمهيدها ـ هذا فيما يخص الوحدة الجغرافية بالذات .. أما فيما يخص الوحدة السياسية فان ايقاف النزاع المسلح بين الشمال والجنوب يعتبر خير بداية ، وسيتبع بانجازات أخرى ان شاء الله ..

٣) الوحدة القومية :

الوحدة القومية تعنى أن تنصهر القبليات ، والقوميات ، والعنصريات ، المختلفة ، العديدة ، التى يعج بها السودان فى داخل حدوده الجغرافية الحاضرة ، فى بوتقة واحدة ، لتخرج شعباً واحداً ، متحد المصير ، متشابه الخصائص ، متقارب القيم ، يفهم أفراده المسائل العامة ، والخاصة ، بنحو قريب من قريب .. فانه ان يكن الفرد هو فى مكان الغاية من السعى وراء التنمية الاجتماعية فان الوحدة القومية هى

فى مكان الوسيلة الواسلة لهذه الغاية ٠٠ ولقد تحدثنا، بمجرد الاشارة ، عن الوحدتين : الجغـــرافية ، والســـياسـية ، واعتبرناهما فى مكان مجرد البداية فى التمهيد لاحـــداث الوحدة القومية ، ذلك بأن الوحدة القومية تتطلب كل المجهود العلمى ، والثقافى ، والفكرى لتحقيقها ٠٠ بل انهـــا هى ، أساساً ، لاتتحقق الا عن طريق كل المناشط كقاعدة ، وعـن طريق الثورة الثقافية ، والثورة الفكرية ، كتتويج لهـــذه القاعدة ٠٠ وعندنا أن الثورة الثقافية ، والثورة الفكرية ، لاتنهضان الا على أساس البعث الدينى ٠٠ ولقد تحدثنا ، فى هذه المقدمة ، وبايجاز شديد ، عن **«العلم»** وقلنا انه انما هو نتاج اللقاح بين المادة ، وما وراء المادة ـ بين العلم المادى التجريبى الحديث ، وبين العلم الروحى التجـــريبى القديم ـ العبادة والمعاملة ـ

هذا واننا قد أخرجنا فى الثورة الثقافية ، والثورة الفكرية، كتاباً مفصلا باسم : « الثورة الثقافيـــة » ٠٠ ولقـد وكدنا مراراً أن « الثورة الثقافية » و « الثورة الفكرية » ليـس فى السودان وحده ، وانما فى العالم أجمع ، لايمكن أن تقوم الا على بعث الكلمة : « لا اله الا الله » ، بعثاً قوياً ، يعيد لهـــا الحياة ، ويجعلها خلاقة ، ومؤثرة عـــلى أخلاق الرجـال ، والنساء ، والصبيان ٠٠ ذلك بأن الازمة الانسانية الحاضرة ، فى جميع أنحاء الكوكب ، انما هى أزمة أخلاق ٠٠ وكـــل حديث عن التنمية الاقتصادية ، والسياسية ، والاجتماعية ، بدون اعتبار الاخلاق الفردية ، انما هى محاولة مقضى عليها بالهزيمة والفشل قبل البداية ٠٠

والذى نراه اليوم أن العهد الحاضر يجارى وضعاً دينيـــاً متخلفاً يتمثل فى « أمانة الشئون الدينية » ٠٠ هذا الوضـــع

هو ، فى حد ذاته ، عقبة فى سبيل البعث الدينى ، وفى سبيل عودة : « لا اله الا الله » لتكون خلاقة فى صدور الرجـــال ، والنساء ، والصبيان ..

ان الثورة الفكرية متخلفة اليوم تخلفاً مزرياً ، وكل هـذا التخلف انما مرده الى الجهل بالدين الذى تمثله هذه الأمـانة التى تصرف الدولة عليها أموالا طائلة ، فلكأننا نحن نصرف أموالنا لتمكين الجهل من شعبنا ، وهذا وضـــع جد مؤسف ، ويجب الاقلاع عنه ، والاخذ ، وبدون اضـــاعة وقـت ، « بالثورة الثقافية » ، و « الثورة الفكرية » ، التى تقدمهـــا « الدعوة الاسلامية الجديدة » .. ان هذا أمر لامفر منـه ، ولا معدى ، وانه لابد كائن ، فهو حتمى الصيرورة ، فان الله تبارك وتعالى يقول : « هو الذى أرسل رسوله بالهدى ودين الحق ليظهره على الدين كله .. وكفى بالله شهيداً !! » .. جاء وقت الحق ، فما يبدىء الباطل وما يعيد .. « جاء الحق ، وزهق الباطل .. ان الباطل كان زهوقا » ..

خاتمـــة :

أما بعد : فهذه مجرد خطوط عريضة فى طريق التنميـــة الاجتماعية ، وستكون لى عودة الى الكتـــابة عن التنميـة الاجتماعية فى السودان بتفصيل ، أما هذه الخطوط العريضة فانى لم أرد بها الا الى تنبيه الاذهـــان الى ضرورة سلوك الطريق العلمى ، الصحيح ، المفتوح على الاطلاق ، حين سلك الغرب ، بعلمه المادى ، التجريبى ، وحده ، طريقا مسدوداً ..

نحن المسلمين، نحن أهل الكتاب، نحن أهل هذا الطريق اللاحب، ولكننا اليوم نتوج الجهل ، ونكرمه ، ونعزه ، وننفق عليه .. نحن اليوم نسير على حداء جهلائنا ، وقد أنى لنا أن نوقف هذا الجهل بالدين عند حده ، وأن نقبل على ديننا ، وعلى قرآننا ، بعقول مبرأة من أوضار الجهالات ، والخرافات .. ان هذا أمر لابد كائن .. والله المستعان ..

متـن المحاضـــرة :

بســـم اللـه الرحمـن الرحيم

نبدأ حديثنا فى هذه الليلة المباركـة ، من هذا المعقـــل المبارك ، لنتحدث عن « الدين والتنميـــة الاجتماعية » ·· وأبادر فأشكر الابن عوض الكريم ، رئيس هذه الجلسـة ، على ترحابه بى ، وبزملائى ، فى هذه الزيارة الى الجامعـة الاسلامية ·· سيكون حديثنا فى موضوع فى غاية الاهمية، موضوع الدين ، وموضـــوع المجتمع ·· وأهمية هـــذا الموضوع بتنشأ من انو موضوع بتناول الاصول ، والفروع، فى مسارة البشرية الطويلة نحو هدفها المقدور لها ··

التنمية ، فى الوقت الحاضر ، هى المظهر العلمى للتخطيط ، وللتطبيق ، فى تنفيذ كل المناشـــط البشرية التى تقدم الفرد البشرى ، وتقدم المجتمـــع البشرى ·· ونحن ، فى الوقت الحاضر ، نعيش فى عصر العلم ·· والعلم ، بما قفز فى السنوات الاخيرة ، أصبح يواجه الدين ، من حيث هـو دين ، بصورة من التحدى شديدة ·· بعض الناس يعتقد ان التحدى الذى يواجه به العلم الدين ، أو المفارقة التى بـين المفاهيم الدينية والمفاهيم العلمية ، بعض الناس يعتقد انها جفوة مفتعلة ·· ولكن الأمر فى هـــذه المفارقة التى هى مظهر التحدى الذى يواجـــه به العلم الدين ليست أمراً وهمياً ، وانما هى أمر يقتضى الكثير من التفكير ، والكثير من الدقة فى الفهم ، والـدقة فى العبـارة ، حتى تصـبح المسألة متساوقة ، ومتداخلة ، ومتسقة ·· فكر الرجـــل الدينى ، وفكر الرجل العلمى ، ليتســـق ، ويتخلص من التناقض ، يجب أن يأخذ حظاً كبيراً من الجدية ، ومن الفهم ، ومن الدقة فى العبارة ، ومن ترك التعميمات التى يمكن أن

تسوقنا الى طريق مقفول ..

ما معنى التنمية الاجتماعية :

التنمية معناها الزيادة .. التنمية الاجتماعية معناها زيادة المجتمع البشرى ، أو العنصر البشرى ، أو ، يمكنك أن تقول ، بتعبير معمم ، زيادة الثروة البشرية ـ زيادتها فى الكم ، وتحسينها فى الكيف .. التنمية الاجتماعية معناها تطبيق العلم ، بكل صوره ، فى تيسير حياة الانسان على هذا الكوكب ، وابراز القوى المودعة فى بنيته .. تحسين المجتمع ، وتحسين الفرد ، دا الغرض من التنمية الاجتماعية .. يمكن بالتنمية الاجتماعية أن نعبر عن كل مناشط العلوم فى تحسين حياة الانسان على هذا الكوكب .. علم الاجتماع هو البتشير ليهو عبارتنا بتطبيق العلم .. فعلم الاجتماع مسيطر على العلوم الاخرى كلها ..

يمكن للانسان أن يقول علم الاجتماع يعنى بالانسان فى هذا الكوكب ، فى معيشته الحاضرة والمقبلة .. الانسان !! من أين جاء ؟؟ والى أين هو سائر ؟؟ ما ماضيه ؟ وما حاضره ؟ وما مستقبله ؟؟ علم الاجتماع ، بالصورة دى ، يستوعب كل العلوم .. وأساسا يرتكز ، ويهتم ، بعلم الاقتصاد ، لأن الانسان حيوان اقتصادى .. الانسان عنده حاسة جمع القوت ، وتدبير القوت ، وتوفيره ، ذلك لأنه عاش ، فى الزمن الطويل ، فى خوف شديد من مستقبله دائماً .. وأكبر الخوف البننطوى نحن جميعاً عليهو هو الخوف من مصدر الرزق بكره ، من مصدر الرزق فى المستقبل ، وكل الحيوانات بطبيعة الحال حيوانات اقتصادية ، تختلف فى مدى اهتمامها بالاقتصاد .. أعلى مثل للحيوان الاقتصادى يمكن يكون النملة والنحلة ..

الانسان فى بابه هو أيضا حيوان اقتصادى ، لكن الانسان لايسير بطريق النملة والنحلة ، وانما هو يسير بطريق داخل فيهو فكره ، داخلة فيه القوى الكبيرة المودعة فيهو ، والتى تجعل القوت وسيلته لحياة فيها حرية ، فيها كرامة ، فيها عقل وعلم ، وفيها متعة كثيرة ، ومتساوقة باستمرار ، ومتسعة باستمرار ·· وحين تكون النملة والنحلة حشرات اقتصاديات تدبر القوت لتأكل لتعيش بدوافع من غريزة الاحتفاظ بالحياة ، يدبر الانسان القوت ليعيش ليحقق بمعيشته معانى لاتخطر على بال جميع مستويات الأحياء على الكوكب ، وانما هى قيم انسانية ·· التنمية الاجتماعية تقوم على تنمية المجتمع فى أفراده ، وتقوم على تحسين نوع الافراد ·· وعظم الظهر فى مسألة التنمية الاجتماعية هى التنمية الاقتصادية ·· والتنمية الاقتصادية هى تخطيط ، وتنفيذ ·· تخطيط وفق علم ، وتنفيذ وفق هذا العلم ، وذلك ليصبح الانسان عايش فى وفرة ·· وفى الوقت الحاضر ، بطبيعة الحال ، نحن عندنا فى عالمنا النظم الاشتراكية ، والنظم الرأسمالية ·· يمكن الانسان أن يقول انو التخطيط ظاهرة من ظواهر النظم الاشتراكية ·· النظم الرأسمالية ماخدة نصيبها من التخطيط ، لكنه كأنما تسرب اليها من النظام الاشتراكى ··

بدايات صور الأشياء :

لو أخذنا الأشياء من أوائل نشأتها يبدو انو المسألة بتظهر لينا بصورة متساوقة ·· فى حقيقة الأمر التنمية الاجتماعية ماها وليدة العصر الحاضر ، الا بمعنى ان مجهود البشر كله ماشى ليتجمع ، ويستقطب ، ويظهر بصورة علمية بارزة ··

لكن منذ أن نشأ الفرد البشرى ، فكر ، واتجه، لانشاء المجتمع معاهو ·· ويمكن أن نشوف علم الاجتمـــاع ناشىء فى البدايات بصورة كبيرة ·· ولعله لو أخذناه من البـدايات وجينا ليهو فى الوسط ، وقفزنا بيهو فى المدى اللى هـــو ماشى ليهو ، تكون الصورة أظهر لينا ·· نحن قلنا انو علـم الاجتماع يعنى بالانسان ـ معيشـــته الحاضرة فى هـــذا الكوكب !! ماضيه من أين جاء ؟؟ ومستقبله الى أين هـــو ذاهب ؟؟ وعند نشأة المجتمع ، بعيد أن ظهر الفرد البشرى ، المعلومات ماكانت بتتوفر كثيرة ليعرف الانسان الاجـابات على جميع الأسئلة المطروحة ·· كان الانسان بيهتم باللحظة الحاضرة ، لانو كان مشدود الى خطر كبير ، خطر من العدو ، خطر من الجوع ، خطر من المرض ، خطر من الموت ·· خوف يحتوشه من جميع وجوهه ، ويشده الى آن يهتم بحاضره ·· لكنه ، مع ذلك ، كان عنده شعور دائماً بيدفعـــه الى آنو هو ماشى الى مستقبل مجهول ·· هذا المستقبل تطالعـــه منه صور ·· الصور ، الى حـــد كبير ، جات بيهـــا الأحلام ·· يعنى الانسان عرف انو بموت ، من الوهلة الأولى ·· عرف انو بموت ، وما عنده شك فى دا ·· شاف انو الموت ما هـو نهاية لحياته فى هذا الكوكب ·· ذلك لانه رأى فى أحلامـه أهله البموتو ، رآهم بيعملوا فى حيز معين ، بيعملوا أعمال قريبة مما كانوا بيعملوا فيها عندما كانوا أحياء معاهو ·· شعر بأن هناك حياة أخرى ·· الحياة الاخرى دى صـحبت المجتمعات المتخلفة ، وأثرت فى طريقة تفكيرن ، وطريقـة عاداتن ، وطريقة أوضاعن ·· ودى كانت مؤكدة عنـــدهم بصورة لاشعورية ، يمكنك أن تقول ·· كـــانوا متأكـدين انهم هم ، بحياتهم الحاضرة ، ماشين ليموتوا ، لكن المـــوت

ليس نهاية حياتهم ·· ثم ان الانسان ، ليحتفظ بحياتـه ، اضطر ليخترع مسائل كثيرة ، منها الآلة ، زى ماهو معروف عندنا ، لكن أهم شيء اخترعه الفرد ، من بدايات حياتـه ، هو المجتمع ··

الفـــرد والمجتمـــع :

يمكننا أن نشوف الصورة فى الأول أن الفـــرد كـان ، والمجتمع لم يكن ·· هكذا كانت البداية ·· الفـرد كان ، والمجتمع لم يكن ·· فسار الفرد بالصورة المعروفة عنـدنا من رجل وامرأة وذرية بينهما ·· وساروا ، فى تكاثر وفى تطور ، متجهين باستمرار لصورة من التعاون المفـــروض عليهم بدوافع الرغبة فى الأمن ، والرغبة فى الحياة ··نحن عندنا الصورة دى برضها تجيء فى الدين ·· وهى حقيقة أحب لها أن تكون مؤكدة ·· وحقيقة أخـــرى تضاف الى حقيقة نشأة المجتمع من رجل وامرأة هى أن الدين ونشـأة المجتمع بدأت بداية واحدة ·· الآن نحـــن موضـــوعنا : « الدين ، والتنمية الاجتماعية » ·· يمكنـــك أن تقول : الدين والمجتمع ·· عن كيفية نشأة المجتمع قال : « يا أيهـا الناس اتقوا ربكم الـــذى خلقكم من نفس واحدة » ، دا الانسان الفرد ·· ثم قال : « وخلق منها زوجها ، وبث منهما رجالا كثيراً ونساء » فتلك نشـــأة الاسرة ·· ثم قـال : « واتقوا الله الذى تساءلون به ، والارحام ·· ان الله كان عليكم رقيبا » ·· فنشأة الفرد سابقة لنشأة الاسرة ، ونشأة المجتمع جات بعد نشأة الفرد وبعـــد نشـــأة الاسرة بمدة طويلة ·· والمسألة دى بتهمنـــا لأنو فى ربكة كبـــيرة فى التفكير الاجتماعى ـ فى التفكير الســـياسى ، يمكنك أن تقول ، فى الوقت الحاضر ··ياتو المهم : الفرد أم الجماعة ؟؟

نحب أن يكون مؤكد ، أن الفرد كان ، والمجتمع لم يكن ٠٠ ثم نشأت الاسرة ٠٠ الاسرة برضها لابد أن تأخذ دور كبير جداً من جلستنا دى ، ومن اهتمامنا فى هذا الحديث ٠٠ الاسرة هى المجتمع الأولانى ، أو اللبنة التى نشأ منها المجتمع ٠٠ فمن الاسرة جات القبيلة ، واطورت المسائل لغاية ماجات الصورة الأممية التى نراها فى وقتنا الحاضر ٠٠

تشاريع الدين ونشأة المجتمع :

والدين الذى هو موضوعنا : « الدين والتنمية الاجتماعية » هذا الدين نشأ فى نفس الوقت الذى نشأ فيه المجتمع ، وفى الحقيقة يمكنك أن تقول ، تشاريع الدين نشأت فى نفس الوقت الذى نشأ فيهو المجتمع ٠٠ ولا يمكن أن يكون فى مجتمع بدون ماتكون فى تشاريع دين ٠٠ اذا كانت التنمية الاجتماعية هى زيادة المجتمع ـ أفراد المجتمع، فى كمه ، وفى كيفه ، بغرض جعل المجتمع وسيلة صالحة ليوفر للفرد أن يتحسن نوعه ، بالحرية وبالثقافة ، وبممارسة الفنون المختلفة ، وبسعة أفقه ، وببروز شخصيته ، وبحريته وكرامته ٠٠ اذا كان المجتمع هو معد لهذه المسألة ، فان هذا المجتمع ، عندما بدأ فى البداية ، كان أهم من الفرد ٠٠ والانسان يلاحظ أن نشأة العرف الأولانية ، أو يمكنك أن تقول الشريعة الاولانية ، نشأت وهى فى مظهرها ضد الفرد ، ومع الجماعة ٠٠ نشأت بتطويع الفرد لخدمة الجماعة ، وبصور عنيفة جداً ، حتى ان الفرد كان يضحى بيهو فى مذابح الجماعة ليرضى القوى الهائلة البخافها الانسان كعدو ، أو بواددها الانسان كصديق ٠٠ مظهر الجماعة كان طاغي على حياة الافراد ٠٠ الدين نشأ فى صدور الافراد فى وقت سابق لنشوء

الشريعة ، أو قل القانون ، فانه لايمكن أن ينشأ مجتمع الا حول هذه القوانين ·· وهذه القـــوانين بتبدو فى الأول عنيفة جداً ضد الفرد ·· لكن اذا كان الانسان دقق فيها ، وحدد النظر فيها ، بجد انها هى لمصلحة الفرد ، من الوهلة الأولى ، كما هى لمصلحة الجماعة من الوهلة الاولى ··ويمكن اذن أن نقول ان الدين نشأ عند الفرد عندما علم ان هنـاك حياة أخرى ، وعندما علم ان هناك ، فى البيئة البعيـش فيها ، قوى كبيرة وهائلة ، وان هذه القـوى بعضها ضده ، وبعضها معاهو ·· مثلا الظلام، الرعد ، الحريق ، الصواعق، دى قوى ظهر ليهو انها ضده ، وانها رهيبة ، وانها مابهمها مصيره هو ·· حرارة الشمس ، ودفؤها ، والمطر البينـزل برذاذه ، وينساب ماؤه ، ويروى ليهـو الارض ، وينبـت النبات ، النور البشعر بيهو مع دفء الشمس ، والبضـيء ليهو طريقه ، ومسالكه ·· كل الأشياء اللى زى دى قـدر يصنفها ، ويبوبها ·· فى منها حاجة معاهو ، وفى منهـا حاجة ضده ·· لكنها كلها ، على أية حالة ، ساقته الى رهبة كبيرة ، والى خوف كبير ، والى نوع من ممارسة المصادقة ، أو المعاداة ، والمناجزة ، ودى كلها انما هى من الأشياء الـتى ساقته ، واضطرته الى أن يعيش فى مجتمع يتكاثر مع بعضه ليمشى بحياته لأمام ··

المجتمع ضـــد الفـرد ؟؟

المجتمع طريقه كله كان مرسوم على أن الجماعة ضـــد الفرد ·· اذا جينا للدقة نجد انو ضـــدية الجماعة للفرد بتخدم الفرد فى انها بتهذبه ، وفى انها بتربيهو ، وانهـا بتخرج منو العصارة التى هى فى آخر الأمر مقدرته ليسيطر على دوافعه الغريزية التى كانت عند الحيوان منطلقة بدون

ضوابط ٠٠ يمكنك أن تقول ان أول مانشأ من العرف ـ أول ما نشأ من الشريعة ـ هو عبارة الحرام والحلال ، فى ضبط الغريزة الجنسية مثلا ٠٠ لانه اذا كانت العلاقة نشأت بين رجل وامرأة : « اتقوا ربكم الذى خلقكم من نفس واحدة ، وخلق منها زوجها » هذه الزوجة أصبح هناك فى اتجاه ليها، هذا الاتجاه لابد أن يكون معان ، ومحمى ، من اندفاعات الغريزة الورثناها من الحيوان ٠٠ أصبح هناك فى ضوابط ٠٠ أصبح الانسان عليهو الا يقرب قرابات معينة بالاتصال الجنسى بالزواج بيها ٠٠ حرمت مثلا الأم ، وحرمت الاخت ، وحرمت بنت الاخ ، وحرمت القريبات البصورة دى ، ودا الحكمة وراه أن يجعل الانسان النسيب (الصهر) مطمئن حتى انه ليسكن مع أصهاره ٠٠ اذا كان الولد محرمة عليهو أخته ، فان الرجل الأجنبى يمكنه أن يتزوج ويسكن مع أهل زوجته ، وهو مطمئن على زوجته ، لان العرف قائم على انو الولد لايمكن أن يقرب أخته ، أيضاً فان الأب لايقرب بنته ، هو اذن مطمئن على زوجته ، وغيرته الجنسية الموروثة من الحيوان من قديم يمكن أن تجد تهدئتها ، يمكن أن تجد طمأنينتها فى انه هو واثق من أن الأمور بتسير فى غيابه على مايرام ٠٠ أصبح الانسان ، بهذا القانون ، فى وقت واحد ، يراعى حق الجماعة فى صيانة عرفهم الذى يشيع الطمأنينة بين الناس حتى يتكاثروا ، وحتى يعيشوا مع بعض ، فتبقى الاسرة ، والولد البالغ مع أبوه ، والصهر يعيش معاهم ، ويتكاثروا بالصورة دى ٠٠ وفى نفس الوقت الذى هو براعى فيه هذه الحقوق يجد انو أصبحت عنده ضوابط لنزعاته ولغرايزه ـ عنده سيطرة ـ عنده ارادة تسيطر على شهوته ٠٠ من هنا بدأ

العقل مسيرته ، وبدأ المجتمع البشرى يدخـــل فى تطوراته المختلفة ·· ومشت المسألة دى حادة ، أشد الحدة ضـــد الفرد ·· لكن اذا عاينت بدقـــة تلقى ان التشريع ، من الوهلة الاولانية ، موفق بين حاجة الفرد وحاجة الجماعة ·· الشريعة نشأت بصورة ، من البداية ، فيها توفيق حكيـــم بين حاجة الفرد ، وحاجة الجماعة ·· لكن الأمر ظاهر فيهو الضغط على الفرد . لان الفرد حيوان شرس ، وعنيف ، وغير مروض ، ويحتاج الى كثير من الارهاب ، ومن التخويف من عقوبة مخالفة هذه القوانين ·· وهذه القوانين ، بطبيعـة الحالة ، نشأ معاها الرأى الدينى فى العقيدة فى انو اذا كان هو أمن عقوبة المجتمع فان القوى الرهيبة البخافها ، ويجب أن يكون فى سلام معاها ، برضها مشرفة عليهو ، وبتطلـع على مايكنه ويخفيه ·· دى معانى نشأت برضو فى البداية. ووصفت هذه القوى فيها بأن عندها المقدرة الخارقة على أن تعرف ما تعمله أنت ولو كنت فى خلوتك ··

الـدين ما هـو ؟؟

بدأ المجتمع مسيرته متدين فى الحقيقة ·· لكن الـــدين هنا معناهو شنو ؟؟ نحن قبيل عرفنا التنمية ، وعرفنا علـم الاجتماع ، وأغراضه ·· والان فلنعرف الدين ·· الدين ، يمكنك أن تقول ، « المعاملة » ·· الدين الجزاء ·· « مـالك يوم الدين » يعنى يوم الجزاء ·· يوم المحاسبة ·· يـــوم معاقبة الانسان على ما قدم من جرائم ، ومكافأته على ماقدم من حسنات ·· الدين الجزاء ·· الدين المعاملة ·· القاعدة فيهو « كما تدين تدان » كما تعامـــل الناس تعامـل ·· والعبارة النبوية الشريفة : « الدين المعاملة » ··والقاعدة النشأ عليها الدين ، فى شريعته ، فى البدايات ، فى الحقيقة ،

برضها مضمنة فى القرآن ٠٠ هى مضمنة بصورة لاتحتاج الا أن يركز عليها الانسان فكره ٠٠ فى البدايات نشأت القاعدة التشريعية التى قامت عليها شريعة الحياة ، وهى سابقة للعقيدة ، هذه القاعدة تقول : « فمن يعمل مثقال ذرة خيراً يره * ومن يعمل مثقال ذرة شراً يره » ٠٠ القاعدة دى هى السائدة فى الصراع بين الأحياء وبين البيئة ٠٠ وعندما سارت المجتمعات فى تحديدات معينة لحرمة أشياء وحل أشياء ، جات القاعدة التى قامت عليها شريعة العقول وقامت عليها العقيدة ، وجات العقيدة توكد معانى الحرمة ، ومعانى الحل ، وتوكد العقوبة التى اذا أفلت منها الجانى لتحايله على القانون الذى يطبقه الآباء والمشايخ ، والقانون الذى يطبقه الناس ، فانه ، لن يفلت من عقاب الآلهة البتراعى الانسان فى خلوته ، وبتراقبه ٠٠ هذه القاعدة التى تقول : « فمن يعمل مثقال ذرة خيراً يره * ومن يعمل مثقال ذرة شراً يره » تعنى ببساطة ان الحى ، كائنا مايكون هذا الحى ، اذا لم يستطع أن يوائم بين حياته وبين بيئته فانه ينقرض ويموت ٠٠ هذا معنى من معانى الآيتين « فمن يعمل مثقال ذرة خيراً يره * ومن يعمل مثقال ذرة شراً يره » ثم ان القاعدة التشريعية القائمة على العقيدة جات موازية لهذه وهى تقول : « وكتبنا عليهم فيها أن النفس بالنفس ، والعين بالعين ، والانف بالانف ، والاذن بالاذن ، والسن بالسن ، والجروح قصاص ٠٠ فمن تصدق به فهو كفارة له ٠٠ ومن لم يحكم بما أنزل الله فأولئك هم الظالمون » ٠٠ دا هو قانون « المجتمع » ويمكن أن يسمى قانون « العقول » فى مقابلة تسمية قانون : « فمن يعمل مثقال ذرة خيراً يره * ومن يعمل مثقال ذرة شراً يره » بقانون « الحياة » (قانون الجسد)

وبين قانون الجسد (قانون الحياة) وقانون العقل (قانون المجتمع) علاقة ومناسبة ·· فنحن عندما نشأنا ومشينا لى قدام ، لغاية ماجينا لى مستوى التخطيط للتنمية الاجتماعية انما غرضنا الحقيقى من هذا التخطيط أن نحقق بقانون « المجتمع » المواءمة بيننا وبين بيئتنا ، تلك المواءمة التى تتطلبها « الحياة » وعليها يقوم قانونها ··

العبادة والآلة :

يجب أن نحاول ، باستعمال الفكر واستعمال العلم ، أن نعيش فى سلام ، وأن نتجنب الكوارث التى قد تسببها لينا البيئة ·· مثلا التنمية الاجتماعية ، الى حد كبير ، احتراز ضد الجوع الذى يمكن أن ينشأ من العوامل الطبيعية من قلة الغلال ، أو من احتكار ، وتخزين الغلال ، البيحصل ·· المجاعات الكانت قبل شويه ، يعنى فى أوائل القرن العشرين ، كانت بتحصل كثيرة ، فى بعض البلاد ، زى فى الصين ، كانت بتحصل المجاعات الى أواخر النصف الاول من القرن العشرين ·· التخطيط الاجتماعى هو عبارة عن محاولة لأن نأمن غوائل البيئة ·· السيرة الماشى بيها الانسان من البداية هى محاولة لأن يوجد تواؤم بينه وبين بيئته ·· هو يصارع فى البيئة ، القوى البيقدر عليها يناجزها ، ويصارعها ، ويحاربها ·· القوى الما بيقدر عليها يهادنها ، ويسالمها ، ويتعبدها ، ويقرب لها القرابين ·· من هنا نشأت الصورة الأولانية فى الدين ، وفى العلم . النحن هسع آتكلمنا عنو فى صورة العلم الاجتماعى ·· نشأت بداية الدين وبداية العلم نشأة واحدة ·· نحن نحب أن نجى لى اللحظة اليجب أن نفك التعارض الفى الحقيقة قائم بين العلم والدين ·· العلم والدين نشأوا نشأة واحدة . وفى وقت واحد ، لكن العلم

سار بخطوات أكبر . والدين سار بسير وئيد ، لأن الدين بيرتكز على العقيدة والتسليم أكثر مما بيرتكز العلم ٠٠ العلم بيرتكز على الفكر ، وعلى التدبير ، وعلى التجربة ، وعلى تصحيح الخطأ اليمكن أن توصلنا ليهو التجربة ٠٠ لكن يمكن من الأول أن نقول « العبادة » و « الآلة » ٠٠ يعنى مثلا لما الانسان وجد القوى الهائلة ، الكبيرة ، الما بستطيع أن يناجزها لابد ليهو أن يتملقها ، لابد ليهو أن يقرب ليها القرابين ، لابد ليهو أن يهادنها ، وكذلك نشأت عبادته ليها٠٠ بعدين القوى التى يمكنه أن يناجزها اختار الآلة لمناجزتها ٠٠ الآلة دى قد تكون سلاح الحجر فى العصر الحجرى ، أو العصا . ثم اتطورت الى أن بلغت ، من الحجر القديم بالصورة ديك ، اتطورت الى أن بقت القنبلة الهايدروجينية ٠٠ الدين برضو مشى فى موكبه الخاص بيهو ، اتطور فى مراحله المختلفة ، ومن رسالاته المختلفة ، الى أن بقينا نحن الآن . وفى موقفنا الحاضر ، نحتاج لأن ننظر فى أمره ، وفى مفارقته للعلم ، وفى كيف يجب أن تكون فى مزاوجة ، ومواءمة واتساق بينه وبين العلم ٠٠

المجتمع أكبر اختراع اخترعه الانسان :

فالدين بالمعنى دا : « الدين المعاملة » ٠٠ والمعاملة قاعدتها : « فمن يعمل مثقال ذرة خيراً يره * ومن يعمل مثقال ذرة شراً يره » ٠٠ ودى مطبقة على جميع الأحياء ٠٠ دى هى السيرت الانسان فى مراقى النمو الجسدى ٠٠ الانسان نشأ كحيوان اتطور لغاية ما ظهر فيهو العقل ٠٠ وأخذ زمن طويل ، ووثيد فى نشأته دى . لغاية ماظهر العقل ٠٠ ظهر العقل من خلال الصراع مع البيئة . ومن البيئة الاعداء البشريين ، والاعداء الحيوانات البتحيط بيهو ، والاعداء من

القوى الصماء الساقتنا الى أن ندبر ، وأن نقدر ، حتى بلغنا بالتدبير أن نسوق مجتمعنا فى طريق التخطيط ، وفى طريق التنفيذ ، فى التنمية الاقتصادية ، والتنمية الاجتماعية ·· الانسان ، فى مضماره ، فى مسألة الصراع ، اخترع اختراعات كبيرة ، كما قلنا ، ومنها المجتمع ·· فالمجتمع أكبر وسيلة من وسائل فرصة الانسان ليعيش فى حرية ، وفى وئام ، ذلك انك انت لما بتكون فى الجماعة بتكون آمن ·· ولما انت بتكون فى الجماعة ، بيكون هناك مجال لتوزيع العمل ، وبذلك بتجد فرصة من الفراغ ·· ونحن ، بطبيعة الحال ، ماشين ، وباستمرار ، لأن نوفر أنفسنا من العمل المضنى ، والطويل ، البستغرق كل وقتنا ، لنجد فرصة الفراغ التى نستثمرها فى تصريف مسائل هى العلة ، والحكمة فى وجودنا ·· قبيل قلنا ان الانسان مابيعيش ليأكل ، وانما هو بيأكل ليعيش ليحقق أعمال أكبر من مجرد العيش ··

تعاقب الرق ، والاقطاع ، والرأسمالية :

اذا كان واضح عندنا مواكبة العلم والدين لبعض ، يمكن أن نجىء للمرحلة الأخيرة ·· المرحلة الاخيرة هى مرحلة التنمية الاجتماعية بوسائل العلم الحديث ·· فى دراستنا للمجتمع البشرى ، يتضح لنا ان مجتمعنا البشرى نامى ، ومتطور ، وماشى ليحقق للافراد كرامتهم ·· لكن تفكيرنا الاجتماعى فى المرحلة الحاضرة مرتطم بحقائق عايزة تجلية ، وعايزة دقة ·· المجتمع !! هل هو أهم من الفرد ، أم هل الفرد أهم من المجتمع ؟؟ المشكلة دى هى مشكلة التفكير الاجتماعى الحاضر ، وبخاصة التفكير الاشتراكى ·· المجتمع عندما تطور فى الصراعات الكثيرة ، وكانت مظاهر عمله كلها ضد الفرد ، سار الى أن نشأت الأفكار الاشتراكية من الصراعات بين

الطبقات ·· الطبقات فيها الأفراد القلائل المتميزين بالثروة ـ الثروة التى بلغت حدود الرق ـ استرقاق الآخرين ·· المسترقين ، وأصحاب الرقيق ، طبقات متصارعة ·· ثم مشت الصراعات لى قدام لغاية ماتطورت مسألة الرقيق بصورته القديمة الى أن أتخذ صورة العمال فى الارض ، وأصحاب الاقطاع ·· مشت المسألة لى قدام ·· بعد صور الاقطاع المختلفة ما اتصفت ، فى أوقات ازدهار الصناعات ، الى الرأسمالية ، قامت علاقة العمال وأصحاب العمل ·· الصراعات المستمرة دى ساقت ، مع خلفيات التاريخ الطويل ، ساقت المفكرين الاجتماعيين الى أن يعتقدوا ان الفرد ما مهم ·· المهم الجماعة . لأن الجماعة بتعيش فى بؤس طويل جدا ، سببه ، الى حد كبير ، الافراد المالكين . سواء كانوا مالكين للرقيق ، أو مالكين للاقطاعية ، أو مالكين للمصانع ·· الصراع دا وخلافه أدى فكرة أن المجتمع هو المهم . والفرد ما مهم ··

ماهو غرض التنمية الاجتماعية ؟؟

نحن ، فى المرحلة الحاضرة، نحب أن نقف لنقول: ماهو غرض التنمية الاجتماعية؟؟ هل هو أن يتحسن المجتمع فى عدده ـ فى كمه . ثم فى كيفه ؟؟ ثم اعتباراتنا للتنمية الاجتماعية للمجتمع هل تتركز فى التنمية الاقتصادية بصورة معينة ، حتى لكأن كل شىء مطوع ليها ؟؟ أم ان التنمية الاجتماعية المقصود منها . وراء المجتمع ، الفرد ؟؟ وأنا بفتكر انو دا المحك اليمكن أن نعطيه اعتبار كبير . بفتكر انو دا مقاس التفكير الاجتماعى السليم ·· السؤال قايم ·· نحن بنخطط للتنمية ، هل لنبرز الفرد الحر ، الكامل ، السعيد ، أم لنبرز المجتمع المتكامل ، المتعاون ، المنمى ، فى عدده وفى كيفه ؟؟ الكيف دا مقاسه الافراد ، أم مقاسه مستوى الجماعة بالصورة العند التفكير

الاشتراكى الماركسى المعاصر ؟؟ أنا بفتكر ان النقطة دى هى النقطة البتسوقنا الى الدين ·· ويمكن المفارقة بتظهر بين الدين وبين التفكير المعاصر الاجتماعى ·· المفارقة بتظهر فى الحد دا ·· العبارة النحن قررناها فى الأول من ان الانسان كان ، والمجتمع لم يكن ، أحب أن يكون فى توكيد ليها ·· وفى الحقيقة الصورة دى ، لو نحن فكرنا لى قدام ، هى التى ستبرز فان البشرية ماشة لان يكون الفرد ، وما يكون المجتمع ·· المجتمع مهم فى المرحلة فقط ·· يعنى نحن ماشين متطورين فى صورة تبرز الفرد المستغنى عن المجتمع ·· دا يمكن يكون المعنى البجينا بيهو الدين ·· الدين ، من الأول ، لو لاحظنا ، هو محاولة لان ينتصر الفرد على بيئته ·· وبرزت لينا هذه المحاولة فى صورة أن الفرد اخترع المجتمع ·· وهو انما اخترعه ليتوسل بيهو الى منازل فرديته وذاتيته ··

بالشريعة الدينية جاء المجتمع ·· ايشمعنا الشريعة الدينية؟؟ (وأنا بعنى بيها الشريعة الاسلامية) ·· التشريع الاسلامى هو النشأ بيه المجتمع الاولانى ·· أنا أحب أن يكون الأمر دا واضح فان أول ما نشأ من التشريع ، أو العرف ، هو النشأت حوله الجماعة . وهو العرف البينظم الغريزة الجنسية ، والعرف البينظم الملكية الفردية ·· ودا بيجيبنا بوضوح الى أوكد تشاريع الاسلام ·· أوكد تشاريع الاسلام الحدود ·· وتلى تشاريع الحدود تشاريع القصاص ·· وتشاريع القصاص فى غاية الانضباط ·· أما تشاريع الحدود ففى نهاية الانضباط ·· لايمكن للانسان أن يرى أى خلل فيها ·· وزى ما قلنا انها هى تشاريع قائمة على ماوراء الدين ، ماوراء العقيدة ، قائمة على حياة الأحياء قبل مايجىء البشر لتكون عندهم عقول وبخاطبوهم بالاديان ، وبالحرام والحلال ·· كانت القاعدة فى

مسألة الدقة فى تشريع الحدود ، وتشريع القصاص ، كما سبق أن قررنا تقوم على قوله تعالى : « فمن يعمل مثقال ذرة خيراً يره * ومن يعمل مثقال ذرة شراً يره » ·· وهذا هو مستوى صراع الأحياء مع البيئة ·· فلما جات الشريعة ، فى صور التنصيص ، جات منها العين بالعين ، والسن بالسن ·· هذه الشريعة البدأت عندنا بصورة موكدة فى التوراة ، هى شريعتنا نحن برضو ، كما انها هى شريعة النصارى ·· بالصورة دى ، العين بالعين ، والسن بالسن ·· هذه هى شريعة الدين فى معنى ان الدين يعنى الجزاء ، « كما تدين تدان » ـ تعامل انت كما تعامل انت الآخرين ، لأن المجتمع ، ليكون موجوداً ، بيتطلب آمر زى دا ـ بيتطلب انك انت حريتك يكون عندها حد ـ حريتك تنتهى حيث تبدأ حرية جارك ·· اذا كان نحن لابد لينا أن نعيش فى مجتمع متسالمين لابد ليك انت يكون عندك حد لحريتك ·· نهاية حريتك هى بداية حريتى أنا ·· دا هو الدين ·· « كما تدين تدان » ، بالمعنى دا جات العين بالعين ، والسن بالسن ·· وهذه فيها تطبيق لقيمة هى ، فى الحقيقة ، سابقة على العقيدة زى ما قلنا سابقا وحكى عنها القرآن : « فمن يعمل مثقال ذرة خيراً يره * ومن يعمل مثقال ذرة شراً يره » ، وقد جات هنا فى مجتمعنا البيعتدى على واحد بقلع عينه تقلع عينه ·· بفضل هذه التجربة الغالية هو يستطيع أن يعامل الآخرين بتصور ، وبتخيل ، وبذكاء ، عندما يسلك فى الناس ·· يستطيع أن يتخيل مبلغ الألم البيلحقو هو بالآخرين بالكلمة الجارحة ، أو بالفعلة الشنيعة ··

دقة قوانين الحدود والقصاص :

مسألة الحدود أدق من مسألة القصاص ·· ومسألة القصاص

انتو شفتو دقتها ·· مسألة الحدود ، نحن عندنا أربعة حدود ·· عندنا الحدود فى الاسلام أربعة هى: الزنا ، والقذف وهو التهمة بالزنا ، والسرقة ، وقطع الطريق ·· يمكنك أن تقول : الاربعة ديل بيتلخصوا فى اثنين : حفظ العرض ـ حد الزنا والقذف ·· وحفظ المال ـ حد السرقة وقطع الطريق ·· ولانضباط قوانين الحدود بالصورة دى قيل عنها انها هى حق الله ، يعنى يمكن للحاكم أن يعفو فى أمر القصاص ، لو فرض انو واحد قلع عين آخر ثم المقلوعة عينه عفا ، يمكن للحاكم أن يعفو ·· لكن فى مسألة الحدود ، اذا بلغت الحاكم ، وقام الركن فى حقها ، لاتعفى ·· النبى لايمكن أن يعفو عن السرقة مثلا ·· هو يمكن أن يعفو اذا كان واحد ضرب واحد كف كسر سنه ، والمكسورة سنه عفا ·· النبى يمكن ، فى الحالة دى ، أن يعفو ، اذا هو رأى أن يعفو لاصلاح الاثنين ·· على الأقل يمكنه أن يخفف العقوبة فيما يخص القصاص ·· لكن فى الحدود لايكون فى عفو اطلاقاً ·· لايملك أى انسان هذا العفو ·· دا حد الله ·· دا حق الله ·· هو قايم على شيئين ، كما سبق أن قررنا ، حفظ العرض ، وحفظ المال ·· نعم هناك حد الخمر ، لكنه ماهو فى انضباط الحدود الاربعة التى ذكرنا انها تقوم على صيانة العرض ، وصيانة المال ··

العبادة هى انشاء العلاقة بين العابد والمعبود :

سار التشريع الاسلامى فى صورته دى ·· دايماً يحاول الدين بتشاريعه أن يوجد مواءمة بين البيئة وبين الفرد ·· العبادة هى ، فى الحقيقة ، محاولة لانشاء العلاقة بين العابد والمعبود ·· الانسان الأولانى كان شافها بالصورة دى ·· أقام هذه العلاقة بينه وبين القوة الهائلة فى التعدديات المختلفة ، فى الاديان المختلفة ، اللى هى طبعاً مراحل تطورات الدين

المستمرة ، لغاية ماجاء فى الاديان الكتابية عندنا ، أو قل لغاية ماجاء فى الاديان البتخاطب العقول عندنا ٠٠ سار باستمرار محاول أن يوجد توافق ، وتعاون ، ومصالحة ، وصداقة ، ومحبة ، بينه وبين البيئة ، سواء كانت مصالحة البيئة دى بتملقها بتقريب القرابين ، أو بالعبادة ، الى أن جات الصورة النشأت منها الاديان العقلية الحاضرة ٠٠ نحن عندنا الاسلام ٠٠ نحن بنتكلم عن الاسلام عندما نقول الدين والتنمية الاجتماعية ٠٠ الدين عندنا معناه الاسلام ٠٠ الاسلام هو شنو ؟؟ دى برضها حاجة أنا أحب أن نأخذها من أصولها ، وبداياتها ، لانه دايماً اذا كان نحن أخذنا الامور من الاصول ، والبدايات ، بنستطيع أن نمشى فى تمديدها ، والرؤية واضحة عندنا ٠٠ الدين هو : « الارادة الآلهية » ٠٠ يمكن الانسان أن يقول ، على التحقيق ، أن الدين هو «الارادة الآلهية » ٠٠ ونحن عندنا الدين الاسلامى العام ، والدين الاسلامى الخاص ٠٠ يعنى ربنا لما قال : « أفغير دين الله يبغون ، وله أسلم من فى السموات ، والارض ، طوعاً وكرهاً ، واليه يرجعون ؟؟ » انما عنى « الارادة » الكاملة ، الشاملة ، التى لاتعصى ولا تخالف ٠٠ « أفغير دين الله يبغون ، وله أسلم من فى السموات ، والارض ، طوعاً وكرهاً ، واليه يرجعون؟؟» وفى نفس المعنى : « وان من شىء الا يسبح بحمده ، ولكن لاتفقهون تسبيحهم » ٠٠ الدين دا هو الذى طور الحياة لما كانت فى صورها البدائية ، وهى يومئذ تمور فى الطين ، أو هى يومئذ تزحف على اليابس ، وذلك قبل أن تصل الى مرتبة عبادة شتى صور القوى ، تلك التى اعتبرتها هى القوى البتأثر عليها ، اعتبرتها هى القوى البترهبها ٠٠ تطورت الى أن عرفت أن وراء القوى دى فى القوة الخالقة ٠٠ الناس

أخذوا زمن طويل وهم يتطورون بفعل هذه الارادة الهادية السالفة الذكر ٠٠ الناس كلهم ساروا بفضلها لكمالاتهم ٠٠ ساروا لغاية ماظهرت فيهم العقول ـ لغاية ماخوطبوا بالاديان ـ لغاية ماجات فى الشريعة الصورة الماشة فى موازاة مع صورة : « فمن يعمل مثقال ذرة خيراً يره * ومن يعمل مثقال ذرة شراً يره » ٠٠ جات مواكبة ليها ، وماشة معاها . ومصاقبة ليها : « العين بالعين ، والسن بالسن » ٠٠ لكن الصورة دى جات لما دخلت العقول فى المسرح ٠٠ وربنا يقول قبل نشأة العقول ، عن الانسان : « هل أتى على الانسان حين من الدهر لم يكن شيئاً مذكورا ؟؟ » يعنى : قد أتى على الانسان زمن طويل جداً لم يكن عنده عقل يجعله مذكوراً عند الله فى ملكوته ٠٠ يعنى : مضى على الانسان زمن طويل لم يكن مكلفاً ، ولا مخاطباً ، بتوجيه الشرائع ، والتكاليف . اليه ٠٠ ثم انه عندما أصبح الانسان مكلف بفضل الله ، ثم بفضل صهر العناصر ليهو ، وتخويفها ليهو ، وضغط المجتمع عليهو ، نمى عقله ، وتقدم ، وأصبح يخاطب بصور متقدمة من التشاريع ، ويطالب بصور متقدمة من الاعمال والواجبات الاجتماعية ، وأصبح يعيش فى بيئة اجتماعية تعلمه ، وتهذبه ، وتربيه ، وتعطيه مختلف الفرص ليكون حراً ٠٠ لقد تقدم الافراد بالصور اللى بنشوفها نحن فى الوقت الحاضر ٠٠

التنمية الاجتماعية محاولة للسلام :

يمكن للانسان أن يقول ان التنمية الاجتماعية هى محاولة لأن تكون فى مواءمة بين الانسان والبيئة ٠٠ التنمية الاجتماعية هى ادخال العلم فى المناشط البشرية حتى نجد معادلة لأن نعيش فى سلام ـ نعيش فى سلام من العداوات ، نعيش فى سلام من المجاعات ، نعيش فى سلام من الجهل ، نعيش

فى سلام من المرض ٠٠ ولذلك التنمية الاجتماعية تأخـذ فى تخصيصاتها الاعتبارات دى كلها ٠٠ هى بتأخذ التخطيـط الاقتصادى كعمود فقرى للمجتمع كله ، لانه لايمكن أن يكون فى عمل فى الاصلاح بدون التنمية الاقتصادية ٠٠ لكن هناك التخطيط الثقافى ، والتخطيط الصحى ، والتخطيط للخلاص من الجريمة ، والتخطيط للمرافق اللى بتسوقنا كلها لابـراز قيمة الفرد ، وتحسين مستواه ، وبروزه الى مجال كرامتـه وحريته ٠٠ لكن فكرنا الاجتماعى ، زى ما قلت قبيل ، ارتطم بمسألة العجز عن التمييز بين الفرد والجماعة ، لان تاريخنا فى الماضى كله كان فى ظاهره ضد الفرد ٠٠ يجب أن تسـوقنا نهاية الدورة مرة ثانية لأن نشوف أن الفرد نشأ قبل المجتمع ، والفرد هو اللى اخترع المجتمع ، والمجتمع هو وسيلة الفرد٠٠ ونحن عندنا فى الاسلام الفرد هو المخاطب ٠٠ الفرد هـو المكلف ٠٠ « الفردية » ٠٠ نحن عندنا فى الاسلام الفـردية مؤكدة بصورة كبيرة جداً ٠٠ هى تجى بوضوح فى عبـارات التكليف ، هو يقول : « كل نفس بما كسبت رهينة » ٠٠ ربنا تبارك وتعالى يتوجه للفرد بالصورة دى : « كل نفس بمـا كسبت رهينة » أو « ولا تزر وازرة وزر أخرى » أو « ونرثـه ما يقول ويأتينا فردا » أو « لقد جئتمونا فرادى كما خلقناكم أول مرة » أو « وان تدع مثقلة الى حملها لايحمل منـه شـىء ولو كان ذا قربى » أو « ان كل من فى السموات والارض الا آتى الرحمن عبدا * لقد أحصاهم وعدهم عدا * وكلهم آتيه يوم القيامة فردا » ٠٠ أنا أفتكر اننا نحن فى مفتـرق الطرق فى الوقت الحاضر ٠٠ نحن البشر وقفنا فى مفتـرق الطرق ٠٠ فاذا كان ما وضحت فى نظرنا ، فى رؤيتنا ، اذا ما وضحـت لينا الرؤية بنظل لايصين ٠٠ الرؤية المطلوبة ليها أن تتضـح

هى أن الفرد هو المطلوب فى المكـــان الاول ·· الجماعـــة وسيلتنا ، والفرد غايتنا ·· وتنميتنا الاجتماعية يجـب أن تتجه لانجاز المجتمع الذى منه يبرز الفرد الكامل ، الفـــرد العارف ، الفرد الحر ·· التنمية الاجتماعية يجب أن يكـــون هدفها دا ·· بل ، فى الحقيقة ، ان تجربتنا دلت على اننا اذا كان مانتجه نحن من الأول لان نجعل الفرد هو مركز النشـاط كله ، لايمكن أن تكون التنميـــة الاقتصـــادية ، ناجحة أو موجودة ·· التنمية الاقتصادية ، بدون اعطاء العناية بالفرد مكان الصدارة مخذلة ، ومنهزمة ، لان الفـرد هو الثـروة الحقيقية ·· الفرد البينتج ـ أنا وانت ، والثالث والرابع ـ بالاقتناع الداخلى البنعمل بيهو فى سبيل التنمية الاقتصادية، بنجعل التنمية الاقتصادية ممكنة ·· التنمية الاقتصادية اذا كانت ممكنة ، ونحن عندنا الفكرة ، يمكن للتنمية الاجتماعية، فى جميع مناشطها ، أن تمشى للامـــام ·· فاذا نحن أهملنا الفرد ، ثم اتجهنا الى التنمية الاقتصادية بدونه ، فان التنمية الاقتصادية تكون فاشلة ، ومنهزمة ·· ونحـن هنا ، مثلا فى البلد ، نقول دائماً ان أزمتنا أزمة أخلاق ·· أزمة السودانيين أزمة أخلاق ، وليست هى بأزمة كفاءة علمية ·· نحن عندنا الكفاءة العلمية ، ونعرف كيف نخطط ·· ولكن كل تخطيط جميل عندما يجىء عند التنفيذ يموت ، ويفشل ، لان الافراد البنفذوا ماعندهم التربية فى ضمائرهم البترقى الى أن تكون رقيب عليهم لينتجوا ·· ولحسن التوفيـــق انو ، فى مرحلتنا الحاضرة ، التجربة الروسية فى الاشـــتراكية فشلت لنفس السبب ، اللى هو اهمال قيمة الفرد ··

لنجاح التنمية الاجتماعية ، لابد من الحرية :

أها دى بتسوقنا الى الجانب الثانى من العلم ، العلم اللى يجب

أن يتدخل فى توجيه ، وتخطيط ، جميع المناشط البشرية ٠٠ فلتكون التنمية الاجتماعية ممكنة لابد من الحرية ٠٠ وعندما ظن المفكرون الشيوعيون الماركسيون أن الفـــرد غير مهم ، وانما هو سنة فى الدولاب الكبير ، وانما المهـم هو المجتمع ، واتجهوا ليحققوا الاشتراكية كوسيلة لتحقيق الشـيوعية فى تخطيطهم ، فشلوا ، وأصبح ، بعد مضى أكثر من خمسين سنة، تحقيق مجرد الاشتراكية ماممكن ، لانو الفرد ما أصبح منتج بغير رقابة عليهو ، أو بغير دوافع لتجعله ينتج ٠٠ الدوافع دى أصبحت نوع من الاغراء المادى ، فلكأنمـــا هى رجـــوع الى الرأسمالية ٠٠ ولذلك أصبحت روسيا ، حتى فى الغلال ، عالة على أمريكا ٠٠ لعلكم سمعتوا فى الايام الاخيـرة كيـف ان الرئيس فورد اتدخل ليوقف شحنة قمح ، أكثر من مليون طن ، متعاقد عليها مع الروس لتصلهم من الامريكان ٠٠ أصبحـت الصورة واضحة ٠٠ أنا بقول : ان وضوح هذا الأمر انما تـم بحسن التوفيق ، ولحسن العناية الالهية ، لاننا نحن بيهو بنجد الدلائل العملية ، والدلائل المادية ، البتدلنا على اننا نحـــن البشرية المعاصرة ، وصلنا بالاشتراكية الماركسية ، الى الخط المقفول ٠٠

البشرية تحتاج أن تفهم الدين فهماً جديداً :

يجب أن يكون فى تفكير جديد ٠٠ التفكـــير الجديد دا فى الحقيقة بيجى فيه الدين توأ ٠٠ الدين اذا لم يفهم على صورة تتفق مع الدقة البطلبها العلم ، قد يكـــون معوق للتنميـــة برضو ٠٠ فى الواقع اليوم دا فى ناس بيفتكروا ان الـدين معوق للتنمية ٠٠ لكن دا مابكون الدين ٠٠ دا بكون فهـــم الناس للدين ٠٠ فى ناس يرفضون الاشتراكية باسم الدين ، ويزعمون أن الاشتراكية كفر ٠٠ ومثل هؤلاء قد يرفضـون

التفكير فى التنمية الاجتماعية ، أو اذا هم فكروا فيها فقد يظنون أنه موش ضرورى الاشتراكية مثلا للتنمية الاجتماعية ·· يجب أن يكون واضحا فانه لايمكن أن تكون فى تنمية اجتماعية بدون الاشتراكية ·· والتخطيط زى ما قبيل قلنا ، نشأ عن ظهور الاشتراكية ·· ماكان فى تخطيط فى الرأسمالية ·· حتى الرأسماليين لما أصبحوا بيخططوا ، فى الوقت الحاضر ، متهمون بأنهم بيخططوا لمصلحة الرأسمالى ، والاحتكارى ·· لكن التخطيط البيتجه للمجتمع ليحسن كمه ، وكيفه ، انما جاء مع التفكير الاشتراكى ·· والعيب البيمشى مع التخطيط الاقتصادى ، من الجانب الاشتراكى ، العيب دا انما هو اهمال هذا التفكير للحرية ·· بطبيعة الحال ، الناس البيخططوا قلة ·· كأنما هم المديرين والمحركين لدولاب الدولة ، وبطلبوا من الناس الآخرين أن يكونوا فقط أيدى منفذة ··ودا عيبو كبير ، وعيبو ظاهر ، وعيبو ، فى الحقيقة، هو عيب الفلسفة الماركسية نفسها ·· نحن لأن نفهم الاسلام بصورة تخلينا نسير مع تنمية المجتمع ليتقدام ، ليكون المجتمع عندنا متكافل ، ومتعاون ، وفى سلام ، المجتمع الكوكبى كله فى سلام مع بعض ، ليكون المجتمع وسيلة موسلة لحرية الفرد ، نحن لنفهم هذا يجب أن نفهم الغرض من وراء الدين ·· الغرض من وراء الدين كرامة الانسان ·· كل الدين انما جاء من أجل كرامة الانسان ·· ومن ثم توكيده للفردية بالصورة اللى قلت ليكم عليها ·· توكيد الاسلام للفردية انما هو فى أصل أصوله ·· كل القرآن متسق بيها ، وملآن بيها ·· لانك انت بتقابل الله فرد ، ما بتقابل الله فى قطيع ·· أهما توكيد الدين لهذا المعنى هو اللى نحن بنحتاج لنفهموا فى الوقت الحاضر ·· وأعتقد انه بفهمه سينفك التعارض القايم

بين العلم والدين .. بدون هذا المستوى من الفهم التعارض البادى بين العلم والدين سيظل قائماً .. وهذا التعارض بيظهر بصور ساذجة حتى انو نحن عندنا من الناس من كان بيعتقد ، أو لعله لايزال يعتقد ، ويقول للناس ان من قال ان الامريكان وصلوا للقمر فهو كافر .. بالصورة دى يجى التعارض بشكل مضحك بين العلم والدين ..

الدين العام ارادة الله والدين الخاص مرضاته :

لكن اذا كان الدين هو الصورة البصفيها الله بواسطة العقول البشرية من الارادة الالهية . اذا كان الدين هو الارادة الالهية فى صورتها الخاصة . بمعنى أن الله بيستخرج بمصافى العقول المروضة ، والمؤدبة من الارادة الالهية العامة مرضاة الله ، فان الامر يصبح جد مختلف .. أنا بفتكر انو دى نقطة أحب ليها أن تتضح للاخوان السامعين ، وللابناء السامعين .. فان الاسلام بالمعنى الخاص هو مرضاة الله ، والاسلام بالمعنى العام هو الارادة الالهية التى لايشذ عنها شاذ ، ولا يخرج عنها خارج . ولا يعصى الله فيها عاصى .. غير ارادة الله ما فى شى مسيطر على الكون .. لكن ربنا أراد شيئاً لم يرضه .. هناك فرق بين الرضا وبين الارادة ـ فى فرق بين رضا الله . وارادة الله .. وتجىء الصورة فى القرآن الكريم بقوله تعالى : « ان تكفروا فان الله غنى عنكم ، ولايرضى لعباده الكفر ، وان تشكروا يرضه لكم ..» .. «ان تكفروا فان الله غنى عنكم» معناها ماكفرتم مغالبة لله ، ذلك لان الغنى انما هو القادر الذى لايغلب .. كأنه قال : ان تكفروا لم تكفروا مغالبة لله . وانما كفرتم بارادة الله .. والمعانى فى الموضوع دا . والنصوص مستفيضة : « وما كان لنفس أن تؤمن الا باذن الله ويجعل الرجس على الذين لايعقلون » ..

القرآن مستفيض فى معنى انو ما فى شىء بدخل فى الوجود الا بارادة الله .. لما ربنا متعنا نحن بالعقول دى ، وفرض علينا الحرام والحلال ، انما أراد لنا أن نسير مما يريد الى ما لا يرضى غيره ـ نسير من ارادته الى مرضاته .. الحرام والحلال فى ارادته ، لكن الحرام مابدخل فى المرضاة ، مرضاة الله لايدخل فيها الحرام .. الحلال والحرام فى ارادة الله كلاهما ، هما لم يدخلا فى الوجود الا بارادة الله ، لكن الحرام لايدخل فيما يرضاه الله : « ان تكفروا فان الله غنى عنكم ، ولايرضى لعباده الكفر ، وان تشكروا يرضه لكم » .. اذا نحن عرفنا الدين بالمعنى دا ، نعرف ان الدين انما يتوسل بكل وسائل المناشط البشرية ليجعل التنمية الاجتماعية ممكنة .. هو يستعمل الآلة ، ويستعمل العلم ، فى كل صوره ، ليكون خادم الانسان ، موش سيد الانسان ، لأن الانسان انما جاء فى الكون دا ليتحرر من كل سيد حتى يدخل فى العبودية لله .. الانسان ليس له سيد فى هذا الوجود الا الله .. لكن الأشياء البتستعبده كثيرة جداً ، وباستمرار هو بتحرر منها ، وبيخرج من رقها ليخلص عبوديته لله .. ربنا طوع لينا الكوكب كله ، الأكوان كلها ، والوجود كله ، لنستخدمه فى طريق السير اليه تعالى .. وجودنا هنا هو وجود فى قمة المخلوقات ، كأنما الأكوان كلها مطيتنا لنسير بيها لى الله ، فاذا كان نحن عرفنا الدين بالصورة دى مافى علم يمكن أن يكون ضد الدين .. فيجب أن نعرف جيداً أن العلم هو خادم الانسان .. الآلة خادم الانسان .. ليس للانسان سيد غير الله .. وهو ، ليعرف الله ، وليحقق عبوديته لله لابد ليه من الفراغ ليتمرس بالعبادة ليحصل الثقافة ، وليجد الصحة ، وليجد كل الأشياء البيحتاج ليها ليعيش عيشة رفيعة .. الغرض من هذه العيشة

الرفيعة أن يعرف الله ، وأن يشكر نعمة الله التى طوعها ليهو فى كل مناشط حياته ·· الغرض من كل أولئك الحيـــاة الكاملة ·· اذا كان نحن شفنا الدين بالصورة دى مافى تعارض بينه وبين العلم ·· لكن الدين البقول لينا ان الانسان البقول أن الامريكان مشوا القمر كافر ، دا دين قاصر ، وهـو ، فى الحقيقة ، ماهو الدين ، لكنه فهم خاطىء للدين ، ومن المؤكـد اننا نحن فى محك اليوم لنفهم الفهم الصـــحيح والدقيـــق للدين ··

القرآن وسيلة الانســـان :

يمكن أن يقول الانسان انو الدين وسيلة الانسان ·· القرآن ماغاية فى ذاته ، القرآن وسيلة الانسان ·· والاسلام ، وكل مناشط العبادة فيه ، انما هى وسيلة الانسان ·· ربنا تبارك وتعالى يقول : « وأنزلنا اليك الذكر » ، القـــرآن كلـه ·· « لتبين للناس مانزل اليهـــم » ، الشريعـــة ·· « ولعلهـم يتفكرون » ·· هذا هو المعلول وراء كل علة ، لأن الانســـان ما ممكن يسير لمقامات الكرامة بدون الفكر ، وانما جاء الدين كله ليروض الفكر لئلا ينحرف فى تفكيره عن الجادة ··

الدين نقـــل ماعقـل :

فى عبارة قد تحتاج لتصحيح ·· العبارة دى بتقول أن الدين نقل ما عقل ·· الدين نقل وليس عقل ·· العبارة دى جيدة اذا عرف مضمارها ، لكن كثير من الناس أطلقوها بالصـورة الامتهنوا بيها العقل ·· أصلو ما فى كرامـــة الا بالفكر ·· وعندما قال ربنا : « هل أتى على الانسان حين من الدهـــر لم يكن شيئا مذكورا ؟؟ » انما عنى انه قد مضى عليهو زمـن طويل لم يكـــن خلالـه عنده عقـل ·· ونحـــن ما بنسير لى اللـــه فى المســـافة ·· نحـــن بنسير لى اللـــه

بالعقول ·· ربنا أنزل تشاريعه ، وأرسل رسله ، وأرسل ملائكته ، واعاننا بالوجود دا كله لتنمو عقولنا ·· لكن العقول عندها آفة ، هى انو العقول بتنحرف ، بتمشى مع المخاوف ، وبتمشى مع الأمانى ، التفكير بينحرف ·· ونحن عندنا الاسلام جاء ، من أول وهلة ، وواجه مشكلة الانحراف دى بالحديث النبوى الشريف الذى يقول : « لايؤمن أحدكم حتى يكون هواه تبعاً لما جئت به » ·· ثم جات رياضات الدين فى عباداته كلها لتقوى الفكر ، لتحيد الفكر ، ان شئتم ، لئلا ينحرف مع الرغبة ، وانما هو يطلب الحقيقة كما هى ·· أن يطلب الفكر الحقيقة كما هى دا غرض الدين ·· فاذا نحن عرفنا لعبارة « الدين نقل ما عقل » حدودها ، يبقى نستطيع أن نعطى العقل كرامته ·· ومافى كرامة بدون العقل ·· معنى « الدين نقل » انو ماجاءنا من نبينا من تشريعات فى أمر عباداتنا التى بها نستطيع أن نحيد عقولنا ، وأن نؤدبها ،وأن نسيرها فى السراط المستقيم ، دا ما موضوع عقل ، دا موضوع نقل ·· يعنى الظهر مثلا أربع ركعات ·· ما من العقل أن تقول انت ليه أربع ركعات ؟؟ دا ما معقول ·· لا !! دا ينقل فقط ، والايمان هو البيسعفك فيهو ·· كل ماجاء من نبينا ، وبينه لينا فى الشريعة ، هو مايجب أن يؤخذ لنعمل بيهو ، لتجىء القاعدة : « من عمل بما علم ، أورثه الله علم ما لم يعلم » ·· من عمل بما علم من الشريعة نقلا عن النبى تنور عقله بتعليم الله ليهو الحقائق اللدنية ·· الحقائق فى دقائق الدين ، وفى أسرار الوجود ، يجدها بفضل الله ثم بفضل العمل بالشريعة ، وهو انما يجدها عن طريق فكره ·· فيبقى من ثم أن الفكر المروض هو غرض الدين ·· مايجب آن نظن غير كدا ·· اذا نحن جينا للدين بهذا المستوى من الفهم ،

وعملنا فى الدين لنصل الى العقول الصافية ، المروضة ، القوية ، الماشة على الجادة ، المستقيمة ، نستطيع أن نكون سادة الآلة ، سادة العلم ، ولا يمكن الدين ، بهذا المستوى ، أن يكون عنده عداوة مع العلم ·· ويبقى ، بالصورة دى ، التنمية الاجتماعية نستعين فيها بكل المناشط العلمية البتجعل التنمية الاقتصادية ممكنة ، البتجعل تطبيق الديمقراطية اللى هى الحرية الجماعية ممكنة ·· بمثل هذا الفهم بنجعل المجتمع ماشى ليكون الوالد الشرعى للانسان الكامل ··

الفرد سابق على الاسرة ، والاسرة سابقة على المجتمع :

النقطة دى بتسوقنا الى الاسرة مرة ثانية ـ الاسرة النحن قبيل بدينا بيها موضوع التنمية ·· وفى الحقيقة نحن عندنا التنمية الاجتماعية فى غاية الأهمية ·· فى بعض الناس ، لعلكم بتكونوا عرفتوا عنهم ، أهو زى ، مثلا ، بورقيبه ·· بورقيبه كان بفتكر ان الصيام معوق للتنمية ·· زى جاء خبر عنه انو أفتى بأن الناس، من أجل زيادة الانتاج ، مايصوموا ·· سمعنا نحن بخبر زى دا ، ونميل الى عدم تصديقه ·· بعض الناس أيضا بفتكروا انو المرأة غير مشاركة فى عملية الانتاج فى البلاد المتخلفة فيها المرأة ـ البلاد الاسلامية ـ والمرأة نصف المجتمع ، ولذلك فان التنمية الاجتماعية فى هذه البلاد بتكون معطلة ·· معلوم ان الاسرة كلها مستهلكة ·· كأن نصف المجتمع وحده المنتج ، وأما المستهلك فهو النصف البينتج ، والنصف الما بينتج ·· فكأن انتاجية النصف البينتج ضايعة ·· نحن ماشين فى الاتجاه الرامى الى أن المرأة يجب أن تشتغل فى الانتاج ، بقدر ما نحن ماشين فى الاتجاه الذى يقرر ان المرأة يجب أن تنهض ، ذلك لان التنمية الاجتماعية غرضها نهضة المجتمع ، وتحرير الافراد ، والمرأة أكبر مظهر

للمجتمع الناهض ، المنمى ، فى كمه وكيفـــه ·· ونحن فى رأينا أن المناشط البيعمل فيها الرجل ، والمناشط البتعمـــل فيها المرأة ، كلها بتدخل فى التنمية الاجتماعية ·· اذا كانت التنمية الاجتماعية غرضها الانسان ، فهى انما تنمى المجتمـع من أجل أن تنمى الانســـان ، فان المـــرآة هى البتنجـب الانســـان ·· فيبقى عملهـــا فى انجـــاب الانســـان حقه يدخل فيما نقدمه نحن . وفيما نعطيه وزن ـ ما نعطيـه اجر ان شئت ـ لئلا تكون المرأة عالة على المجتمع ، وتعتبر انها ماها منتجة ·· كأن النظرة موش راح تكون ان المرأة تدخـل مع الرجل فى منافسة فى الانتاج فى الحقـول ، وفى الورش ، وانما تعاد النظرة فى تقييم انتاج المرأة ، كمنتجة للاطفال ، وكمربية للاطفال ، وكربة للبيت البيأوى ليهو الانسان المنتج فى الخارج ·· يأوى ليهو الرجل فيلقى فيهو الدفء ، ويلقى فيهـو المحبة ، ويلقى فيهـو العطـف ، ويلقى فيهو الفهم ·· فالاسرة ، مرة ثانية ·· قبل مانصل للفرد ليكون غايتنا لابـد أن يكون عندنا نظرة اعتبار كبيرة جدا للاسرة ·· ولو اننـا نحن لاحظنا بدقة نجد انه فى البداية ، وقبل نشأة المجتمـع ، الفرد كان ، والمجتمع لم يكن . ثم الاسرة كانت ، والمجتمـــع لم يكن ·· ثم اننا نحن دخلنا ، من غير ارادة منـا ، فى دورة كبيرة جداً من تنمية المجتمع ، الى أن أصبحنا بنخطط ليهـــو الآن ·· فقد وجب اذن أن نوجهه الآن ، وبارادة منا ، التوجيه السليم ، حتى تعنى التنمية الاجتماعية ، عناية خاصة ، باعادة تكوين الاسرة على كرامة كبيرة جداً ، بحيث لاتكون المرأة هى الخادمة فى البيت . وانما تكون المرأة هى الملكة فى البيت ·· ثم يسير الفرد الذى ننتجه من الاثنين الكريمين ديل ليبرز الى مقام كرامته ·· ودا يكون الغرض من التنمية الاجتماعية فى

توجيه ، وتشريع الدين الاسلامى ، عائداً من جديد ، كما ندعو اليه ..

المتدين موش مغفل ، بل مفكر ، فى قمة الفكر :

فى حاجة كثيرة كان يمكن أن تقال فى جانب الدين .. فى شرح أكثر .. ما أعرف ، لكن المقدمة طالت .. اذا كان فى أسئلة حوله يمكن نتكلم عنو .. لكن أنا ، بطبيعة الحال ، داعية الى اعادة النظر فى الدين بفهم جديد .. نحن المسلمين يجب أن نفهم ديننا فهم دقيق ، ومضبوط ، وصحيح .. وسيلتنا ليهو موش المجازفة بالفكر ، انما ترويض الفكر بالعبادة الصحيحة ، الفاهمة ، ليكون غرض الدين تحرير الفكر ، وتقويمه .. الفكر هو غرض الدين ، كما هو وارد : « وأنزلنا اليك الذكر لتبين للناس مانزل اليهم .. ولعلهم يتفكرون » .. نحن ما مع الفكر المجازف بدون رياضة ، لكن ، قولا واحداً ، نحن مع الفكر الدقيق ، المستقيم ، البيتخذ وسيلة العبادة ترويض ليهو .. نحن بنعمل موش ليكون المتدين مغفل ، وانما ليكون المتدين مفكر فى قمة الفكر ، حتى يستطيع أن يوجه كل المناشط البشرية لتكون فى خدمة الفرد ، ليكون حر ، ليكون كريم ، ليكون كامل .. اعادة النظر فى أمر الدين كانت بتحتاج لكثير من التفصيل ، أفتكر ، لكن المقدمة طالت .. اذا كانت اتجهت ليها أسئلة يمكن أن تجد المحاولة لاجابتها ان شاء الله .. شكراً ..

هـــذا الكتـــاب :

« يتحدث علماء العالم ، ومسئولوه ، وحكـــامه ، وفى هذه الايام بالذات ، عما يتهدد البشرية من الجوع بسبب ما سمى بالانفجـــار السكانى ·· ولقد سمت هيئة الامم المتحدة عام ١٩٧٤ بعام سـكان العالم ، ودعت بكل الوسائل التى تحت يدها ، الى التفكير فى مصـير البشرية على هذا الكوكب »··

« والذى اراه هو ان البشرية اليوم مواجهة بتحد يدفعها دفعا لاتملك عليه اباء ولا امتناعا ــ يدفعها الى احضان الله بصورة لم يسبق لهـا مثيـل

هـــذا الكتـــاب :

«ان بيئتنا الطبيعية ليست بيئةمادية،كما نتوهمها، الى اليوم!! انها ، فى الحقيقة بيئة روحية ، ذات مظهر مادى !! انها ارادة اللـه تجسدت !!··

والتحدى الذى تواجهنا به هذه البيئة اليـــوم انمـــا يتخذ صورا عديدة !! منها ، فيما نحن بصدده من الحديث عن التنمية الاجتماعية، الانفجار السكانى ، الذى يتهدد أهل الارض بالانقراض جوعا ، اذا لم تتم المواءمة ، بين هذه الحياة الحديثة ، وبين هذه البيئة القديمة ، الحديثة !! ولاتتم المواءمة بتحديد النسل ، كما يظن بعض العلماء !! لا !! ولا هى تتم بهذا ، وبالاعتماد على العلم المادى التجريبى وحده ، فى زيادة انتاج الغذاءات !! ·· »

هـــذا الكتـــاب :

« وهذا « العلم » هو منقذ البشرية الوحيد مما تخشاه ، وما تتوقعه، من الموت جوعا ، من جراء ماسمى بالانفجار السكانى ، فانه ، لـدى هذا العلم ، « الرغيف » ، عند الله ، كضوء الشمس ، لاعد له ، ولا حصـــر » ·

« ولكن هل نترك الاسباب ، والتدبير ، والتخطيط ، واستعمال الآلة، والايدى ، فى زيادة الانتاج ؟؟ هل نترك الاسباب التقليدية اتكـالا على هذه الاسباب التى سبق ذكرها ، والتى قد يظنهـا بعض الناس أسبابا وهمية ؟ كلا !! ثم كلا !!

امدرمان ــ السودان ــ ص·ب ١١٥١

الطابعون : دار الطابع العربى ــ الخرطوم

الثمـن : ٥ قرشـا